

السياق والأنساق

"ما السياق؟ ما النسق؟"

بحث مقدم من الطالب /

محمد عبد الكريم حسين الحميدي

بإشراف الدكتور /

عصام فاروق إمام

جامعة المدينة العالمية

بحث تكميلي هيكل (ج)

قسم اللغة العربية

1434هـ - 2013م

فاتحة الكتاب

يَنْطَلِقُ الْكِتَابُ لِمُقَارَبَةِ مُصْطَلَحِي "السِّيَاقِ" وَ "النَّسَقِ" فِي بُعْدِهِمَا التَّأْرِيخِيَّ وَالثَّقَافِيَّ، مُسْتَفِيداً مِنْ الْمَادَّةِ الْقَامُوسِيَّةِ الْمُعْجَمِيَّةِ أَوَّلًا، وَمِنْ الْمَأْثُورِ الثَّقَافِيِّ الْاجْتِمَاعِيِّ الْمَكُونِ لِذِهْنِيَّتِنَا الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ثَانِيًا، وَمِنْ عُلُومِ اللُّغَةِ الْمُخْتَلَفَةِ؛ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا ثَالِثًا، وَمِنْ الْقِرَاءَةِ الثَّقَافِيَّةِ لِلْوَاقِعِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ رَابِعًا.

يَطْرُحُ الْكِتَابُ أَسْئَلَةً عَلَى الْوَاقِعِ الثَّقَافِيِّ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، مُتَّخِذًا مِنَ اللُّغَةِ وَعُلُومِهَا نُقْطَةَ الْبَدْءِ، مُسْتَرْشِدًا يَهْدِي النَّظْرِيَّةَ السِّيَاقِيَّةَ؛ لِتَحْقِيقِ الْقِرَاءَةِ الْوَاعِيَّةِ لِلْوَاقِعِ الْمَعَاشِ.

هَلْ الْأُزْمَةُ فِي الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ الرَّاهِنَةِ أُزْمَةٌ مُصْطَلَحٍ وَمَفْهُومٍ، أَمْ هِيَ أُزْمَةٌ مُفْتَعَلَةٌ، تُخْفِي وَرَاءَهَا أَفْنَعَةً مِنْ الْحَقِيقَةِ الْعَائِبَةِ، ثُمَّ كَيْفَ نَقْرَأُ وَاقِعَنَا فِي ظِلِّ الْمَتَغَيِّرَاتِ الْمَتَلَاخِقَةِ فِي الْحَيَاةِ، بَلْ كَيْفَ نُوَسِّسُ لِأَنْفُسِنَا الْقُدْرَةَ عَلَى قِرَاءَةِ الْمَتَغَيِّرَاتِ، فِي ظِلِّ التَّذُدُّبِ فِي ثِقَاتِنَا الْحَالِيَّةِ، أَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَجْدَى الْإِعْتِمَادُ عَلَى الثَّوَابِتِ الْقِيَمِيَّةِ الْمِتَوَارِثَةِ؛ لِإِصْلَاحِ الْحَلَلِ فِي مَنْظُومَةِ الْمَفَاهِيمِ وَالْمِصْطَلَحَاتِ الَّتِي تَحْكُمُ حَيَوَاتِنَا؟

هَلْ هِيَ أُزْمَةٌ فِعْلِيَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ، أَمْ هِيَ شَيْءٌ مِنَ التَّرْفِ الْفِكْرِيِّ، لَا عِلَاقَةَ لَنَا بِهِ؟

الكَثِيرُ مِنَ الْأَسْئَلَةِ يَطْرُحُهَا الْكِتَابُ، وَيُحَاوِلُ الْإِجَابَةَ عَلَيْهَا، مُحَاوِلًا تَقْصِي الْحَقِيقَةَ الْكَامِلَةَ وَرَاءَ الْأَحْدَاثِ وَالظُّوَاهِرِ الثَّقَافِيَّةِ فِي وَاقِعِنَا الرَّاهِنِ، فَكُلَّمَا اسْتَطَعْنَا إِدْرَاكَ الْأَسْبَابِ الْحَقِيقِيَّةِ وَرَاءَ نُشُوءِ الظُّوَاهِرِ الثَّقَافِيَّةِ؛ اِمْتَلَكْنَا فَهْمًا عَمِيقًا لِمَا هُوَ حَادِثٌ الْيَوْمَ مِنْ تَوَافُقٍ أَوْ اِخْتِلَافٍ حَوْلَ ظَاهِرَةٍ مَا، وَبِالتَّلَاقِ الْقُدْرَةَ عَلَى اِتِّخَاذِ مَوْقِفٍ إِزَاءَهَا.

مَا يُنَاقِشُهُ الْكِتَابُ وَيُجَاوِرُهُ؛ هُوَ سُلْطَةُ الثَّقَافَةِ عَلَى الْفَرْدِ وَالْأُمَّةِ، فَالْأَفْعَالُ وَالْأَقْوَالُ تَخْضَعُ لِسُلْطَةِ أَعْلَى مِنْ سُلْطَةِ الْفَرْدِ نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمِتَكَلِّمُ أَوْ الْفَاعِلُ، فَالسِّيَاقُ؛ أَوْ مَا أُصْطَلِحَ عَلَى تَسْمِيَّتِهِ بِالْمَقَامِ، عِنْدَ الْبَلَغِيِّينَ، يَعْمَلُ عَلَى تَنْظِيمِ السُّلُوكِ وَالْقَوْلِ فِي الظَّاهِرَةِ اللُّغَوِيَّةِ، بَلْ رُبَّمَا تَجَاوَرَهَا إِلَى فِكْرِ الْإِنْسَانِ وَثَقَافَتِهِ؛ وَعَلَاقَاتِهِ بِالْكُونِ وَالْحَيَاةِ وَالْمَحِيطِ الْبَيْئِيِّ الَّذِي يَتَفَاعَلُ مَعَهُ، وَيَعِيشُ فِي دَاخِلِهِ.

العلاقةُ مُتَشَابِكَةٌ مُتَرَامِيَةٌ الْأَطْرَافِ، لَا تَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ مُعَيَّنٍ، أَوْ جُزْئِيَّةٌ دُونَ أُخْرَى، فَكَأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ رَسَمَ طَرِيقَ حَيَاتِهِ قَبْلَ وِلَادَتِهِ، وَمَا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَأْتِي، وَيُنْفِذَ مَا حُطِّطَ لَهُ.

قَدْ تَبَدُّو الصُّورَةَ فَاتِمَةً بَعْضَ الشَّيْءِ، وَلَكِنَّهَا الْحَقِيقَةُ الثَّقَافِيَّةُ الْمَائِلَةُ أَمَامَ أَعْيُنِنَا، وَلَوْ أَرَدْنَا تَقْرِيْبَ الصُّورَةَ بِمِثَالٍ وَاقِعِيٍّ؛ لَقُلْنَا إِنَّ ابْنَ النَّجَارِ، وَوَلَدَ لِيَكُونَ نَجَّارًا، وَابْنَ الْمَزَارِعِ، وَوَلَدَ لِيَكُونَ مُزَارِعًا، وَهَكَذَا فِي بَقِيَّةِ الْأُمَثِلَةِ الَّتِي تَصَدِّقُ عَلَى مِثَالِنَا.

إِنَّ الصُّورَةَ الْمَرْسُومَةَ فِي غَايَةِ الْقِتَامَةِ، لَكِنَّهَا أَيْضًا تُقَابِلُ صُورَةً أَكْثَرَ إِشْرَاقًا، فَإِنَّ النَّجَّارَ أَوْ الْمَزَارِعَ، لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ نَجَّارًا أَوْ مُزَارِعًا مِثْلَ أَبِيهِ، بَلْ يَمْتَلِكُ قَدْرَهُ الْخَاصَّ، مُعْتَمِدًا عَلَى ذَكَائِهِ وَحِسِّهِ التَّأْوِيلِيِّ لِلظُّوَاهِرِ الثَّقَافِيَّةِ الرَّاهِنَةِ.

صُورَتَانِ رَسَمَهُمَا الْكِتَابُ وَحَاوَرَهُمَا مِنْ خِلَالِ الذَّهْنِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَالتَّغْيِيرَاتِ الثَّقَافِيَّةِ الَّتِي طَرَأَتْ عَلَيْهَا، مُنْذُ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ، وَغَلَبَةِ الْقَبِيلَةِ وَقِيمَتِهَا، وَصُورًا إِلَى الْإِسْلَامِ، وَتَغْيِيرِ الْكَثِيرِ مِنَ الْقِيَمِ، فِي ظِلِّ التَّجْمَعِ الْأُمِّيِّ الْمِخْتَلِفِ، فَالْإِنْتِقَالَ مِنْ طَوْرِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى طَوْرِ الْإِسْلَامِ، أَوْجَدَتْ حَاجَةً مُلِحَةً لِقِرَاءَةِ الثَّرَاثِ، وَاسْتِنْدَالِ الْكَثِيرِ مِنَ الْقِيَمِ الْمَنَافِيَةِ لِرُوحِ الْإِسْلَامِ وَتَعَالِيْمِهِ.

النَّقَاشُ الدَّائِرُ بَيْنَ دَفْتِي الْكِتَابِ، إِزْتَكَّرَ عَلَى الْمَقَارَبَةِ اللُّغَوِيَّةِ، وَتَحْدِيدًا فِي الشَّقِّ السِّيَاقِيِّ مِنْهَا، وَلِذَا أَفْرَدْنَا الْبَابَ الْأَوَّلَ بِالْحَدِيثِ عَنِ السِّيَاقِ، فِي شَكْلِهِ الْقَامُوسِيِّ، وَأَضْفْنَا لَهُ مُفْرَدَةً مُتَّصِلَةً بِهِ، وَتَعْمَلُ عَلَى تَنْظِيمِ وَتَوْجِيهِ دِلَالَتِهِ فِي الْإِسْتِعْمَالِ، تِلْكَ الْمُفْرَدَةُ الْمُسَاعِدَةُ هِيَ مُفْرَدَةُ النَّسَقِ، فَمِنْ السِّيَاقِ وَالنَّسَقِ وَالْحَدِيثِ الْقَامُوسِيِّ عَنْهُمَا تَكُونُ الْبَابُ الْأَوَّلُ.

بَعْدَ اسْتِنْفَاءِ الْحَدِيثِ الْقَامُوسِيِّ لِلْسِّيَاقِ وَالنَّسَقِ، شَرَعْنَا فِي الدِّرَاسَةِ النَّظَرِيَّةِ لِلُّغَةِ عَلَى ضَوْءِ الْمَفَاهِيمِ الْمُسْتَقْفَاةِ مِنَ الْقَامُوسِ، فَجَاءَ الْبَابُ الثَّانِي مِنْ الْكِتَابِ؛ لِيُؤَكِّدَ سُلْطَةَ اللُّغَةِ، وَهَيَمَنَتَهَا عَلَى الذِّهْنِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

قَسِمَ الْبَابُ الثَّانِي إِلَى ثَلَاثَةِ فُصُولٍ؛ حَيْثُ أَشَارَ الْفَصْلُ الْأَوَّلُ إِلَى إِمْتِلَاكِ اللُّغَةِ كِيَانَاتٍ لَا مَرْتَبَةَ، تَجَمَّعَتْ فِي رَحِمِ اللُّغَةِ، وَأُنْتَجَتْ كِيَانًا شُمُولِيًّا، وَهَذَا مَا تَعَمَّقَ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي، وَتَأَكَّدَ عَبْرَ السُّلْطَةِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي اِكْتَسَبَتْهَا اللُّغَةُ؛ جَرَاءَ كَوْنِهَا سِيَاقًا شُمُولِيًّا، اِحْتَوَى عِدَّةَ أُنْسَاقٍ فِي دَاخِلِهَا.

أَمَّا فِي الْفَصْلِ الثَّلَاثِ، فَتَمَّتْ مُنَاقَشَةُ تَحْوُلِ اللُّغَةِ إِلَى خِطَابٍ تَسَلُّطِيٍّ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ؛ لِأَنَّهَا الْحَامِلُ لِلثَّقَافَةِ وَالْفِكْرِ، فَبِصِفَتِهَا كِيَانًا ثَقَافِيًّا؛ اِمْتَلَكْتَ رَأْيًا وَتَوَجُّهًا وَعَايَةً، فَخِطَابُهَا خِطَابٌ شُمُولِيٌّ؛ اِسْتَمَدَّ شَرْعِيَّتَهُ مِنَ النَّسَقِ السَّائِدِ، وَهُوَ النَّسَقُ الدِّينِيُّ.

قُوَّةُ الْخِطَابِ الدِّينِيِّ اِنْتَقَلَتْ إِلَى اللُّغَةِ؛ لِأَنَّ اللُّغَةَ هِيَ الْحَامِلُ لِلْفِكْرِ وَالتَّعَالِيمِ السَّمَاوِيَّةِ، فَسُلْطَةُ اللُّغَةِ مُسْتَمَدَّةٌ مِنْ سُلْطَةِ الدِّينِ، وَكَمَا أَنَّ الدِّينَ يَعْْمَلُ عَلَى الْحَثِّ الدَّائِمِ عَلَى التَّمَسُّكِ بِمَا هُوَ مَرْغُوبٌ، وَتَرْكِ مَا هُوَ غَيْرُ مَرْغُوبٍ، فَكَذَلِكَ اللُّغَةُ، أَصْبَحَتْ تَقُومُ بِالْأَدْوَارِ الدِّينِيَّةِ عِوَضًا عَنِ الدِّينِ؛ مِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَا جَاءَتْ سُلْطَةُ اللُّغَةِ، وَقُوَّتُهَا الْقَاهِرَةُ.

الباب الأول

يهدفُ هذا الفصلُ إلى تبيان معنى كَلِمَتِي السياق والنسق معجمياً، دون التطرق إلى المباحث الحديثة، أو ما استجد من تغيرات دلالية على معنى الكلمتين.

بدايةً نشير إلى أن مبحث السياق، مبحثٌ قديمٌ؛ منذُ صدرِ الإسلام، وقد تشكَّل معناه بحسب استخدامه، فهناك المبحث اللغوي (1)، والمبحث البلاغي، والمبحث التفسيري، والمبحث الأصولي.

فالمبحث اللغوي أتى ليحدد معنى الكلمة الواحدة باعتبار السياق (2) الذي ترد فيه، أو ما يمكن تسميته سياق النص (3)، ولو وجد في النص محذوف ما، فيتم تقديره؛ لإتمام المعنى، والوصول إلى الدلالة (4)، وهنا يبرز النوع الثاني من السياق؛ سياق الموقف، أو السياق الاجتماعي (5)، أو الحال (6)، أو القرينة الدالة (7).

ثم، إن كلمة السياق التبست بكلمة أخرى هي كلمة (السباق)، وباتت الكلمتان مترادفتين على نحو ما (8).

أما المبحث البلاغي (9)، فاهتم اهتماماً بالغاً بالمقام (10)، أو الحال (11)، إذ جاء في تعريف البلاغيين للبلاغة "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" (12)؛ والحال هنا: كل ما يحيط بالمتكلم، أو ما يُشار إليه بسياق الموقف (13).

ولهم كلمتهم المشهورة الواردة في بيتٍ للحطيئة (14):

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكُ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاً

حيث ذهبت مثلاً في قولهم (لكل مقام مقال، ولكل دهر رجال) (15).

عبارة لكل مقام مقال عند البلاغيين والأدباء والنقاد، تحدد مدى أهمية مراعاة السياق، أو المقام (16) في بيان دلالة العملية اللغوية (17)؛ وصولاً إلى المعنى.

لقد كان المفسرون من أسبق العلماء الذين اهتموا بالسياق، واستعانوا به وسيلة مهمة من وسائل الكشف عن المعنى المراد للشارح الحكيم (18)، مستفيدين من المقام، أو قرائن الحال (19)؛ كأسباب النزول (20).

ومع هذا السَّبْق، فقد أكدوا على أهمية السياق في فهم القرآن، وأنه لازم في التفسير (21)، كما شددوا على زمان ومكان النزول، وتم اعتبارهما جزءاً من السياق (22).

الأصوليون هم علماء أصول الفقه أو الفقهاء الذين تحدثوا عن الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية، وقد اهتم هذا الفريق من العلماء بالسياق اهتماماً كبيراً، واعتدوا به وسيلة للكشف عن المعنى المراد (23)، وأول من أشار إلى السياق كان الشافعي (24)، وعندما تطلق لفظة أصول، فالمراد منها الدليل "غالباً" (25).

كذلك وجد علماء الأصول في المذهب الحنفي " أن الدلالة تأتي من جهة اللغة عن طريق المعنى بدلالة سياق الكلام ومقصوده " (26)، وقد " حدد علماء الأصول القرائن اللفظية وغير اللفظية التي يمكن بواسطتها (تخصيص الدلالة) وقصدوا بالقرائن اللفظية ما يسمى اليوم بـ (السياق اللغوي) " (27)، ورأوا أن من وسائل تخصيص الدلالة (غير اللفظية): السياق الثقافي، والاجتماعي، والأعراف والعادات، وكل ما يتضمنه السياق العام الذي تجري فيه اللغة تواملاً (28).

في العصر الحاضر، أو الحديث، فإننا نستطيع القول ليس فقط بأهمية السياق، بل بكثرة النظريات التي استلهمته (29) بداية من دي سوسير (30)، وصولاً إلى جاكسون (31)، ثم المرحلة الأهم مع فيرث، وتلامذته (32)، وظهور المدرسة الأمريكية بريادة بلومفيلد (33).

إن الهدف الأساس من البحث هو الإجابة على سؤالٍ ذي فرعين؛ ما السياق؟ ما النسق؟ وهو ما سنبحثه في الأوراق القادمة على مستوى المعجم القاموسي.

الفصل الأول

السِّيَاق

1-1: لعل أول ما يلفت الانتباه، كثرة المعاني القاموسية، لكلمة السياق، ولجذرها اللغوي (سوق)، وتجدد الإشارة إلى نوعين من المعاني (34)؛ أولاهما: المعنى الحقيقي؛ حيث ترتبط الكلمة بالواقع الحسي، مبتعدة عن المجردات والمعنويات.

وثانيهما: المعنى التجريدي؛ المعنوي؛ إذ تنفك الكلمة عن واقعها الحسي، وتتجه صوب الذهن، والحمولات الثقافية التي تكونت عنها.

1-2: هذه التفرقة في المعاني؛ بين حسية وذهنية؛ معنوية، لا تختصُ بالجذر (سَ وَ قَ) بل هي عملية مضطردة في كلمات المعجم كافة، فنشاهدُ المعنى الحسي متجاوزاً مع المعاني الذهنية.

1-3: بالنسبة للأولية، أو السَّبْقِيَّة في المعنى، فالمؤكد هو أحقية الحسي بالسبق، ولو عدنا للوراء قليلاً، ورأينا الحياة البدوية في أدق تفاصيلها، لوجدنا الكلمات اكتسبت معنىً حسيّاً، ثم انتقلت - بعد ذلك - إلى طورٍ جديد؛ طورِ الذهنية، والتجريدية.

1-4: أيضاً، نلاحظُ أن الطفل في بداياته الأولى تكون كلماته ذات طابعٍ حسي؛ مادي، وبعد مرور سنواتٍ من العمر، والإدراك، تتحول معاني الكلمات إلى طابعٍ معنوي؛ لا مادي. مثلهُ مثلُ البدائي؛ المتوحش؛ الذي تمثل به على فجر البشرية، وبزوغها، وبكارتها؛ إذ ظروف التواصل آنذاك، تجبُّ المتخاطبين - مهما كانت لغتهم أو نوعها - على القصد إلى المعنى الحسي؛ المادي.

1-5: هكذا عذرية اللغة، لم تفقدْ بكارتها بعدُ في مجتمعٍ بدائي؛ متوحشٍ، كما هو حادثُ اليوم، فاللغة الآن نسيّت جذرها، وصارت معانيها عرضة للتأويل الحسي، أو المعنوي.

1-6: الحياة الثقافية الطويلة للبشرية أكسبتها نزعة تشكيل المعنى، وإعطائه زخماً جديداً، مع كل عملية لغوية جديدة، لا يمكنُ بأيِّ حالٍ فصلُ حياة اللغة عن حياة أهلها؛ هم مَنْ أكسبها المعنى، وهي من أكسبهم القدرة على التواصل والفهم.

2-1: إن اللغة تستدعي معجمها المتناسق حول الكلمات، فكلمة (السياق) استدعت مشابهاً من أمثال ساق سوقاً وسياقاً وسياقةً (35) وأساقه إساقه واستساق استياقة المشاية: أعطاه إياها ليسوقها (36)، وهذا الاستطراد واضح جداً في القواميس العربية؛ إذ يتم تداول اللفظ، واستقصاء جميع صيغته؛ ما كان اسماً، أو فعلاً.

على هذه الملاحظة سار البحث في استقصاء الكلمات القاموسية للفظ (السياق).

2-2: أول ما نشاهد في المعجم من ارتباطات معنوية، تلك التي تتعلق بالجزر (سَوْق)؛ وهو الأساس الذي وجدنا مادتنا المعجمية فيه. كانت المحاولة جمع المادة واستقصائها في جميع معانيها، وهو التالي في الحديث:

2-3: أبرز معنى، ولعله الأقدم من حيث تراتبية المعنى وانتقاله من الحسي إلى المعنوي، نشاهد لفظ (السَّاق) (37) : والساق لكل شجر، وإنسان وطائر (38)، وساق الشجرة: جذعها (39)، وفي الإنسان؛ الساق: ساق القدم (40)، وفي الطير ورد: ساق حُر أي: ذكر القماري، وتجمع على: سَوَق (41)، وسَوَاق (42).

فالساق إذن تكون للإنسان وغيره، وإنما سميت بذلك لأنَّ المشي ينساق عليها (43).

2-4: المعنى الحسي متمثل في لفظ الساق، لكن ذلك لا يُنافي المعاني المعنوية؛ فمنها قول الربِّ تعالي ((يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ)) أي: عن شدة، وكذلك يُقال: قَامَتْ الحَرْبُ عَلَى سَاقٍ، وَ "إِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّ السَّاقَ هِيَ الحَامِلَةُ لِلجُمْلَةِ وَالْمُنْهَضَةُ لَهَا (44) وأصله أن الإنسان إذا وقع في شدة يقال: شمر ساعده، وكشف عن ساقه (45)، للاهتمام بذلك الأمر العظيم (46) " ثم قيل للأمر الشَّدِيدِ: سَاق.

ومنه، قام فلان على ساقٍ: إذا غني بالأمر واجتهد فيه (47)، فالعرب كانوا "يذكرون الساق إذا أرادوا شدة الأمر والإخبار عن هوله، يُقال: قام القوم على ساق يريدون الكد والمشقة" (48).

2-5: ومنه أيضاً، يقال: بنى القوم بُيوتهم على ساقٍ واحدٍ، يريدون بذلك الاستواء (49) ، ومحاذاة بعضهم لبعض كأنهم صفٌّ واحدٌ.

2-6: المرأة الولودُ حينما تُنجبُ ثلاثةَ أبناءٍ ليسَ بينهم فتاةٌ؛ أُنثى، تكونُ قد ولدتهم بعضهم في إثرِ بعضٍ على ساقٍ واحدةٍ (50)، أو واحدٍ (51).

2-7: يُكنى عن السَّاقِ بِالنَّفْسِ، مَثَلَمَا وَرَدَ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي حَرْبِ الشُّرَاةِ "لا بد لي من قتلهم ولو تَلَفْتُ سَاقِي" (52)، ومثله وردت "المَحْتَضِرُ يَسُوقُ سَيَاقًا" (53)، وَالْمَقْصُودُ نَزْعُ الرُّوحِ (54) الْمُؤَدِّي إلى الموتِ (55)، فالسياق هنا بمعنى: الاختصارِ؛ الموتِ؛ الفناءِ.

2-8: السُّوقُ: المهر؛ وهو السياق أيضاً (56)، المقدم للعروس، حيثُ كان البدوي يسوقه إليها، ويرسله (57)، وإن كان دراهم، أو دنانير؛ لأن أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تُسَاقُ (58)، حيث هي الغالبةُ على أموالهم، ثم وضع السياق موضع المهر، وإن لم يكن إبلاً وغنماً (59)، فحياةُ العربِ القدماءِ في باديتهم، أُجبرتهم على اتخاذِ المالِ السائرِ من إبلٍ وغنمٍ، فكان لزاماً عليهم التَّعَامُلُ بِسِلْعِ زَمَانِهِمْ، وَهَكَذَا فَعَلُوا، حَيْثُ كَانَتْ لِلْمَاشِيَةِ قِيَمَةٌ، وَأَهْمِيَّةٌ.

2-9: من سَوقِ الإبلِ مهراً للعروس برز استعمال كلمة السياق للماشية، ف سَاقُ الماشيةِ سوقاً وسياقةً، ومساقاً، واستاقها، وأساقها فانسقت، فهو سائقٌ وسَوَّاقٌ (60)، والتشديد هنا للمبالغة (61)، وأصلُ السِّيقِ سِوَّاقٌ، فُلبت الواو ياءً لِكَسْرِ السِينِ (62).

2-10: وأساقه الماشية: أعطاه إياها ليسوقها (63)، بينما (السِّيِّقَةُ): ما يساق من الدواب، أو ما استاقه العدو من الدواب (64)، وتحديدًا: ما اختلسَ من الشيء فساقه (65)، فيكون ما يسوقه العدو مختلساً؛ مسروقاً؛ منهوباً.

2-11: المتابعة في السير (66) مأخوذة من انسياق الإبل، أو ما تم اختلاسه من قبل العدو، أساسها
الماشية التي تسيّر بشكلٍ متسقٍ متتابع، ثم صارت تُستخدم لبني البشر، أو ما يصح إتيانه بصورةٍ من صور
التتابع.

بالنسبة للماشية سوقها يعني: حثها على السير من خلف، فتساوقت الماشية: تتابعت، وانسقت الإبل:
سارت متتابعة، والمساوقة: المتابعة، وكذلك لو وردت عند الآدميين، فتأخذ ذات المعنى.

2-12: ساوقها فتساوقت وانسقت: تابعها فتتابعت وانقادت (67)، حيث كان من عادة العرب وقت
سوق الماشية استعمال نوع من الغناء الشعري يُعرف بالحداء، ومنه حدو الشيء (68)؛ حدو الماشية للسير
بها، والمنساق من الجبال: المنقاد طولاً (69)، والتابع والقريب.

2-13: السحاب يُطلقُ عليها (السَيْق) سواءً أكانَ فيه ماءً، أم لم يكنْ (70) ، تطرده الريح؛ تسوقه
للمكان الذي قدر له، ومنه قولُ العربِ: المرءُ سَيِّقَةُ القدرِ (71) أي: يسوقه إلى ما قُدِّرَ له، لا يعدوه؛
حيثُ يشاءُ اللهُ.

2-14: ساق إلى إنسانٍ الخير، أو ساق الأمر إليه أي: صار ملكاً (72)، ومنه إنساق الملك إلى فلان
من الناس. أي: إنتقل الملكُ إليه (73)، ومساق الخلافة: انتقال الخلافة من شخصٍ إلى آخر (74).

2-15: من الملك والمملوكية ننتقلُ إلى الجانب الآخر؛ جانب الشعب؛ "الرعية" ، حيثُ يُعبرُ عنها بال (
سُوق / سُوقَة) (75)، فالسُوقَة: مفرد، وجمعه: السُّوق؛ ويأتي للواحد والجمع، والمذكر والمؤنث، والسُّوقَة
من الناس: من لم يكن ذا سلطانٍ " وهم من غير الملوك "، بل الملك يسوسهم، ويسوقهم، ويصرفهم إلى ما
شاء من أمره، فهم من " أوساط الناس " أي: عامتهم، وغالبيتهم؛ ليسوا من الوجّهَاء.

سببُ تسمية "الرَّعِيَّةِ" بالـ سُوْقَة؛ لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم، والـ مُنْسَاقُ: التابع والقريب (76)، هنا نتذكر عبارة العرب: المرءُ سَيِّقَةُ القدرِ (سبق بيانه) لنلاحظ التشابه بين الملِك والقَدْر، فكلاهما يسوقان الإنسان إلى طريقٍ يحدده، إنما يبقى القَدْرُ أعلى سلطةً من الملِك، فهو تابعٌ ومنقادٌ أيضاً؛ كالبقية.

2-16: أتت تسمية "السُّوق" (77) من "سُوقٍ / سُوْقَة" الناس، وهي جمع كلمة: ساق؛ لأن الناس فيها يقفون على "سُوقِهِمْ"، أو سميت بذلك لسوق الناس إليها (78)، و"السُّوق" مفردٌ، وجمعها: أسواق، وأصلُ اشتقاقها من سَوَقِ الناس بضائِعِهِمْ إليها "موضع البياعات" (79)، حيثُ يمارسُ الناسُ عمليةً "تَسُوقِ": بيع وشراء، وتُعرض فيه السِّلَعُ للبيع والابتياح (80).

2-17: "السُّوقُ" أيضاً تُستعملُ في مجال الحرب، فـ سُوقِ الحرب: حَوْمَةُ القتالِ (81)، وقامت الحرب على ساقٍ أي: اشتدت وتعاضمت (82)، ومنه الآية: (يوم يكشف عن ساقٍ) أي عن شدة (سبق بيانه)، و(إلى ربك يومئذٍ المساق) أي: المنتهى والمرجع (83)، وكلها ألفاظٌ تَعَضُدُ بعضها، فكأنَّ اللغَةَ نسجت من معجمها شكلَ الحياةِ العربيةِ، وأعطتْ لكلِّ حركةٍ اسماً، ولكلِّ تحرُّكٍ صفةً، ولو سرنا قليلاً لوجدنا "ساوقه" بمعنى: فاخره في السوق، وتابعه وسايره وجاراه (84)، و "ساوقه مساوقة": ساواه (85)، وهذه العبارة متصلةٌ بالعبارة التي سبق لنا إيضاها: بنى القوم بُيُوتَهُمْ على ساقٍ واحدٍ، أي: مُتَسَاوِينَ.

2-18: وهناك "سَاقَةُ الجيش" (86) : مؤخَّرَه، وفلانٌ في سَاقَةِ العسكر: في آخره، و "السَاقَةُ": جمع سائق، وهم الذين يسوقون الجيش الغزاة، ويكونون من ورائهم، يحفظونه، ومنه سَاقَةُ الحج (87)؛ السائرين خلف الحُجَّاجِ من أجلِ حِفْظِهِمْ.

2-19: يلحق بالسُّوقِ لفظ "السُّوقِي" نسبةً إليها (88)، أو نسبةً إلى السوقة (89)، لأن التجارة تُجلب إليها وتساق المبيعات نحوها، والسُّوقِيُّ من اللفظ: هو المِيتَدِّلُ.

2-20: ساق بفلانٍ (90): كان دليلاً له، وساقه مساق غيره أي عامله معاملة غيره (91)، والسُّويقة: موضع بنواحي المدينة المنورة "يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه" (92).

3-1: من المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق (93)، وإليك يُساق الحديث، وكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه، على سرده (94)، وساق الحديث: سرده (95) وسلسله (96)؛ أورده بسهولة وسلاسة، وإليك يُساق الحديث: يُوجّه (97)، وورد في شفاء الغليل أن السياق: يدل في كلام المولدين على أمور منها ما سيق له الكلام من الغرض (98)، وسباق الكلام "أسلوبه ومجراه" (99) / سياق الحوادث - الأمر: الظروف التي يقع فيها، بيّن له السياق الذي وقعت فيه السرقة: "شرح المتهم للقاضي السياق الذي ارتكب فيه جريمته" (100).

3-2: السياق يعني: "تعاقب سلسلة من الظاهرات في وحدة ونظامٍ كتعاقب الظاهرات الفيسيولوجية والسيكولوجية" (101)، والسياق "مفرد" وجمعه "سياقات" (لغير المصدر)، والمصدر: ساق، والمساق "مفرد": مصدر ميمي من ساق (102).

3-3: يُقال: "وقعت هذه العبارة في سياق الكلام" أي مُدرجة فيه (103)، "كما يقال: ساق حديثاً أو كلاماً يُقال: ساق قولاً، وساق خبراً، أي سرده سلسله. والفعل وحده (ساق) يستعمل بمعنى: حدّث وحكى ورؤى" (104).

3-4: سياق: تسلسل الأشياء وتتابعها، وتسلسل الأفكار باقي الحديث أو القصة أو الكلام، يقال: نرجع إلى سياق الكلام، أي نرجع إلى باقي الكلام" (105)، والمساق: تسلسل، تتابع مثل سياق (106)، والسوقان: "مصدر ويستعمل اسماً بمعنى استقراء واستنتاج" (107).

3-5: السياق عند القصاص (108): الحصة من الحديث، و"ساق القصة: قصتها" (109)؛ حدّث بها، وحكاها؛ رواها (110).

3-6: السياق: الشفاعة (111)؛ أو الوساطة في أمرٍ ما، كشفاعة النبي (ص) لأمته.

3-7: مجرى الأحداث في رواية أو مسرحية، أو تسلسل أحداث مترابطة بحيث تتألف منها حبكة ببداية وتنام ونهاية؛ يُطلق على هذه العملية مُسمى "سياق"، كما توجد قاعدة وضعها أرسطو؛ تقضي بالأّ يكون للرواية، أو للمسرحية سوى حبكة واحدة، وهي قاعدة "وحدة السياق"، وقد أقرها الكلاسيكيون في منتصف القرن السابع عشر، وطورها الرومانسيون مع محافظتهم على وحدة الإثارة (112).

3-8: للفظَة السياق مرادفات خارج الإطار القاموسي؛ المعجمي، نُورِدُها؛ استكمالاً لما بدأنا به، وإتماماً للفائدة، وهذه المرادفات استعملها علماء من خارج الإطار اللغوي، رغم علمهم باللغة، ودراستهم لها. المرادفات هي: المقام (113)، ونظرية النظم كما تناولها عبد القاهر الجرجاني (114)، ودلالة الحال، أو مقتضى الحال، أو قرينة الحال، أو شاهد الحال، أو بساط الحال (115)، والقرينة (116)، والغرض، أو مقصود الكلام (117)، واللسان المرادُ به الكلام (118)، والمناسبة (119).

3-9: بالرغم من ورود لفظ السياق في التراث العربي، إلا أنه يستعمل إستعمالات مختلفة، وقابلة لتعدد الفهم، كسياق الموقف؛ كان يُشارُ إليه عند اللغويين، والبلاغيين، والأصوليين، والمفسرين، بإصطلاحات أخرى تؤدّي نفس المفهوم مثل: الحال (الأحوال)، المشاهدة، المشاهد، والدليل، والقرينة (القرائن)، والمقام، والموقف (120).

4-1: كثرة المعاني المشتقة من الجذر (سَ وَ قَ) تحيلنا إلى ميزة إمتازت بها اللغة العربية؛ لغتنا، عن سواها من اللغات، ألا وهي غنى المعجم بالمعاني التي تؤدي المقصد، بل ربما اشتركت كلمتان أو أكثر في معنى محدد، إضافةً إلى المعاني الأخرى التي تمتلكها كل كلمة، وهنا نقع في إشكال، فما الذي يحدد معنى الكلمة؟

لا نستطيعُ فضّ التشابك القائم سوى بإرجاع الكلمة إلى سياقها، فالسياق يحدد معناها بدقة (121).

4-2: تبقى المعاني القاموسية مجرد مفاهيم لمصاديق خارجية؛ تُحيلُ إلى مُتصوّرٍ ما (122)، تسبح في لغتنا المستعملة، وإذا كانت اللغة قد تم جمعها منذُ بذرتها الأولى من لَدُنِ العرب الأقباح، فإنَّ تطوّرَ الزمانِ قد وُلِدَ الكثيرَ من المعاني المستحدثة، وهو أمرٌ طبيعي بالنسبة إلى لغةٍ لا تريدُ أن تموت، بل ترغبُ بمواصلة حياتها وفق ما خطه الله لها (123).

4-3: الكثرةُ الكاثرةُ من المعاني المتعلقة بلفظة (السياق)؛ فمن المهر (2-8) إلى الاحتضار (2-7)، إلى السحاب (2-13)، إلى مؤخّرة الجيش (2-18)، إلى المنهوب والمسلوب من الدواب (2-10)، إلى السوق موضع البيع والشراء (2-16)، إلى الرّعية (2-15) ... إلى العبارة المدرجة في الجملة (3-3)، إلى المتابعة والقرب (2-15)، إلى التساوي (2-17)، إلى تسيير الإنسان إلى ما قدّره الله له (2-13) ... والكثيرُ ممّا سبق وبَيَّنّا قبلُ.

الملاحظة الحالية تؤكد سابقتها، وتوحي بشيء آخر، وهو حاجة العرب إلى تعدد المعاني للكلمة الواحدة؛ لتُناسب الفنون القولية التي برعوا فيها.

4-4: قضيةُ تعدُّدِ معنى اللفظ ليست الوحيدة في القائمة، بل تحس حينما تستقصي معاني الجذر (سَوَق) أنه حياةٌ بكاملها، جميع مناحي الحياة لها وجود في هذا اللفظ، ارتباطه بالإنسان بادٍ بشكلٍ كبير؛ ينتقل معه من طورٍ إلى آخر، لا يغادر جزئية من جزئيات الحياة إلا وتغلغل فيها، كل هذا بفعل تطور الزمن، وتطور اللفظة معه.

4-5: منذُ الولادة إلى الموت، إلى الشفاعة الكبرى للنبي (ص)، تجول مفردة (السياق)، وتتابع كأنما تُشكّلُ حيواتنا بأكملها، فلا تمرُّ مرحلةً من مراحل الحياة إلا ووجدنا للفظه (السياق) أثراً، وشاهداً، وهذا ما يقود إلى الفكرة القائلة: إنَّ المعجم اللغوي قد صاغ حيواتنا وفق ثقافةٍ معينة؛ متسلسلةً.

4-6: اللغةُ نظامٌ (124) حياتي متكامل (125)، وتُعتبر "أعظم اكتشاف عرفه الإنسان على مر العصور" (126) تحيا بنا ونحيا فيها، نعبر عن أفكارنا المجردة من خلال ألفاظها، وتُعبرُ عن نسقٍ ثقافي

(127)، وفكري (128) معاش، نتعاملُ معها كأنها لا وجودَ لها، بل إنَّ إحساسنا بها يبلُغُ من العمقِ بمكانٍ أننا لا نشعرُ بوجودها؛ بأهميتها، إلَّا أنَّ أهميتها جاثمةٌ لا إشكالَ فيها (129)، فكما أننا لا ندركُ أهميةَ وجودنا إلَّا إذا دعت الضرورةُ، أو الحاجةُ إلى ذلك، فكذلك اللغةُ، حاجتنا إليها تُحدد أهميتها.

4-7: إنَّ كونَ اللغةِ نظامً (130)، يعني امتلاكها سلطةً (131)؛ خفيةً، تُمارسُ من بعيدٍ سطوتها على الأفراد (132)؛ غير العابثين بها؛ لا يكثرثون لأمرها، ولو فقدوها لأدركوا أهميتها البالغة (133)، وهو ما جاهدَ اللغويون لإثباته في كتب القواميس والمعاجم؛ التي بطبيعتها لا تستطيع حصر جميع السياقات (134).

ارتباطُ اللغةِ بالواقع الاجتماعي (135) أمرٌ ثابتٌ، وما الدلالات المتنوعة لكلمة (السياق) سوى دليلٍ أكيدٍ على ذلك.

4-8: بعد إنتهائنا من إيضاح الدلالات المتنوعة لكلمة (السياق)، نأتي إلى كلمةٍ أخرى، ارتبطت بها، وسارت معها في مراحلها الدلالية المتنوعة؛ تلك الكلمة هي (النسق)، فما النسق؟ وما ارتباطه بال (سياق)؟ هذان سؤالان يُجابُ عنهما تالياً؛ في المبحث القادم.

الفصل الثاني

النَّسَق

- 1-1: الحديث عن "النَّسَق" مُختلفٌ عن "السِّيَاق"؛ فحينَ نُشاهدُ كثرةَ المعاني، وتشعبها في لفظةِ "السِّيَاق" نجدُ عكسَ ذلك تماماً في بحثنا حول "النَّسَق"، وكأنَّ هذه الكلمة لم يستوعبها القاموس جيداً.
- 1-2: أيضاً انقسمَ الحديثُ حول "النَّسَق" معجماً إلى فرعين؛ أولهما: المعنى المادي المحسوس، وثانيهما: المعنى الذهني؛ التجريدي (136).

1-3: بالنسبة للفرع الأول؛ المتعلق بالمعنى المادي، فله سِمةُ السَّبْقِ على المعنى الذِّهني، وهذا ما سنتعامل على أساسه تالياً.

1-4: ثمة أمرٌ أخيرٌ لا بُدَّ من الإشارةِ إليه؛ من أجلِ فهمِ تامٍ للفظِ "النَّسَق"، ألا وهو عدمُ استقلاليتها في المعنى، فتبعيتها للألفاظ الأخرى بارزةٌ جداً؛ بخلاف لفظةِ "السِّيَاق"؛ التي تشكّلُ معناها المستقل، دون الحاجةِ إلى الاستعانة بالكلمات الأخرى؛ لتوضيحها.

2-1: نَسَقٌ يَنْسِقُ، نَسَقًا، فهو نَاسِقٌ، والمفعول مَنْسُوقٌ (137)، و"تَنَاسَقٌ" من نَسَقٍ (138) وَاِنْتَسَقَ (139)، فهو "نَسِيقٌ" (الرائد ص 804)، و "مُتَنَاسِقٌ" (140)، و"نَسَقٌ" [مفرد]: مَصْدَرٌ نَسَقٍ (141)، و نَسَقٌ و"نَسَقٌ"، ومنه "التَّنَسِيقُ" (142) بمعنى واحدٍ، و"اِسْتَنَسَقَ" (143)، و"اُنْسَقَ" (144) نَسَقًا و نَسَقًا، وَاِنْتَسَقَتْ (145) و تَنَسَّقَتْ (146).

2-2: أولُ معنى، وأقربُه إلى الحِسِّ ذلك المتعلقِ بالذِّرِّ (147)، والعقيق (148)، والخرزِ (149)، والشَّعْرِ (150)، والشَّعْرِ (151)، والكتب (152)؛ حيثُ يسبقها "نَسَقٌ"، ويُضيفُ إليها معنى: التنظيم، والترتيب، والحسن.

ف "نَسَقٌ": الذِّرُّ نَسَقًا (153): نظمه على السواء، ودرُّ نَسَقٍ (154): منتظم، و"در نَسِيق" (155): ما كان منظماً.

ومثله، نَسَقَ العقيق (156): نظمه، و نَسَقَ الكتب (157): رتبها، نظمها، وخرزُ نَسَقٍ (158): منظم.

عند ابن فارسٍ أَنَّ النَّعَرَ النَّسَقَ (159): ما كانت أسنانه متناسقة متساوية، ومستوية (160).

2-3: "نَسَقْتُ" الكلامَ نَسَقًا: عطفتُ بعضه على بعض، ورتبته (161)، وهذا كلامٌ "مُتَنَاسِقٌ" (162)، وقد "تَنَاسَقَ" كلامه: جاء على نَسَقٍ ونِظَامٍ (163)، وكلامٌ "نَسَقٌ" (164): متلائم، جاء على نظامٍ واحدٍ، قد عَطِفَ بعضه على بعض، و "نَسَقٌ" الكلام: عطفه، ورتبه بإتقان على نظامٍ واحد (165)، و "النَّسَقُ": الكلامُ على نظامٍ واحد (166)، يُقالُ "هذا نَسَقٌ على هذا" أي معطوفٌ عليه (167)، و "أَنَسَقُ" الرجلُ: تكَلَّمَ سجعاً (168).

2-4: "نَسَقَ" الشيءَ: نَظَّمَهُ [وهي اللغة المشهورة] (169) تَنَسِيقًا، و "التَّنْسيقُ": التَّنْظِيمُ (170)، وجعل الأمر "مُتَنَاسِقًا" (171) و "نَسَقًا" (172) و "نَسَقًا" (173)، و "إِنْتَسَقَ": انتظمَ وكان على نَسَقٍ واحد، و "تَنَاسَقَتِ" الأشياءُ و "إِنْتَسَقَتِ" و "تَنَسَّقَتِ" بعضها إلى بعض: تابعت، و "نَاسَقٌ" بينَ الشيئين: تابعَ بينهما ولاءً (174)، و "النَّسَقُ" من كلِّ شيءٍ: ما كان على طريقةٍ ونظامٍ واحدٍ عام (175).

و"النَّسَقُ" بالتحريك: طَوَّارٌ (176) الحبلُ إذا امتدَّ مستويًا، يُقال: على هذا "النَّسَقُ": أي على هذا الطَوَّارِ (177)، ويُقالُ: قام القومُ نَسَقًا، وغرستُ النخلَ نَسَقًا (178) أي على نظامٍ واحد، وتسيرُ على نَسَقٍ واحد: على طريقةٍ واحدةٍ، ونمطٍ واحد، وسارَ على نَسَقِهِ: منواله؛ أي حاكاهُ وسارَ على سيره (179)، ومُطَرِّدُ النَّسَقِ: مُنْتَظِمٌ ومُتَّسِقٌ (180).

"نَسَقَ" العملَ: نَظَّمَهُ، و"نَسَقَ" أعمالَ اللِّجان، أو "نَسَقَ" المناهجَ التربويةَ: جعلها على نَسَقٍ واحدٍ، ومعاييرَ متشابهةٍ (181).

2-5: حروفُ "النَّسَقِ" (182)، هي حروفُ العطفِ؛ الرابطةِ بينَ الجملِ، والعاملةِ على تنسيقهِ، و "تَنَاسِقِهِ" (183)، و "نَاسَقٌ" بينَ الجملِ: تابعَ بينها ولاءً (184)، وجعلها منتظمةً مستويةً، و "النَّسَقُ": العطفُ على الأولِ، والفاعلُ كالفعلِ (185)، و "هذا نَسَقٌ على هذا" أي معطوفٌ عليه (186).

2-6: "النسق": مجموعة من العناصر يرتبط بعضها ببعض بحيث تكون كلاً منظماً؛ تتالت آراؤه في نسق فكري (187)، وتناسقت وانتسقت وتَنَسَّقت: تتابعت (188).

و "النسق" اللفظي: الترتيب النحوي للكلمات في الجملة أو العبارة (189).

2-7: و "التنسيق": ترتيب أجزاء شتى وتنظيمها من أجل الحصول على كلاً متماسكٍ مترابط، أو تنظيم الأعمال في مؤسسة أو مشروع أو إدارة أو نحوها على نحو يكفلُ حسن سيرها، ويحقق الانسجام بين عناصرها، أما في البديع (من علوم البلاغة): ذكر صفاتٍ متواليّةٍ على سياقٍ واحدٍ دونَ عاطفٍ، مدحاً كانَ أم ذمّاً (190).

3-1: كثيرٌ من ألفاظِ القواميسِ تحتاجُ إلى تفكُّرٍ، خصوصاً إذا ارتبطَ معناها بكلماتٍ أُخرى، وهذا ما وجدناه في ممارستنا لقراءة مفردة "نسق".

3-2: تنوعت مفردة "نسق" في استعمالها، فانتقلت من المستوى الحسي المرتبط بالدر (2-2)، والعقيق (2-2)، والأسنان (2-2)، إلى المستوى المعنوي الذهني المرتبط بالكلام (2-3)، والتنظيم المؤسسي (2-2-7)، وصولاً إلى ارتباط المفردة بحروف العطف، وتسميتها بحروف النسق (2-5).

3-3: إجابةً على سؤال: ما الرابطُ بينَ (السياق) و (النسق)؟

يمكننا الإجابة بما استفدناه من معنى "النسق" في ما يتعلق بالتنظيم، فالسياق متشعبٌ، واسعُ المعاني، يغوصُ في أعماقِ الحياة الإنسانية، والنسق يتولّى تنظيمَ هذه الحياة.

يَعْمَلُ النسقُ على التنظيمِ المؤسسيِّ الفاعلِ، فَحِينَ يبرزُ السياقُ كقوةٍ مؤسّسةٍ؛ يأتي النسقُ لِيُنظِمَ الاتجاهاتِ المتنوعةِ داخلَ البيتِ المؤسسي؛ أو السياقي.

العلاقةُ بينهما؛ علاقةُ الكلياتِ بأجزائها؛ حيثُ الكلياتُ "سياقٌ"، والأجزاءُ "أنساقٌ"، هكذا تتبدّى العلاقةُ، وتظهرُ للعلن.

النَّصُّ "سِيَّاقُ" (191) يُجِيلُ إِلَى دِلَالَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ؛ تَتَشَابَهُ فِي مَنْظُومَةٍ مُتَكَامِلَةٍ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الدَّلِيلَةَ الْكَلِيَّةَ، بَيْنَمَا "النَّسْقُ" تَفْرُعَاتُ النَّصِّ الدَّاخِلِيَّةِ؛ تَتَحَاوَرُ دَاخِلَهُ، وَتَتَجَاوَرُ؛ مُحَدِّثَةٌ نِقَاشًا عَمِيقًا، وَرَبْمَا إِنْتَهَتْ إِلَى دِلَالَاتٍ مُتَخَالِفَةٍ؛ مُتَضَادَّةٍ، إِنَّمَا تَصُبُّ فِي الدَّلِيلَةِ الْكَلِيَّةِ؛ النِّهَائِيَّةِ.

يَبْرُزُ سَوْأَلٌ هَهُنَا: هَلْ إِحْتَوَتْ اللُّغَةُ (السِّيَّاقُ) عَلَى (أَنْسَاقٍ) فِي دَاخِلِهَا؟

الهوامش

- 1- ردة الله بن ردة بن ضيف الطلحي، دلالة السياق، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في علم اللغة، بإشراف الدكتور/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، فرع اللغة، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، 1418هـ، ص 46 وما بعدها.
- 2- باتريك شارودو – دومينيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري – حمادي صمود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس 2008م، ص 133
- 3- الطلحي، دلالة السياق، ص 50
- 4- الطلحي، دلالة السياق، ص 54-55
- 5- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، د.ت، ص 159
- 6- محمود السمران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص 310-311
- 7- الطلحي، دلالة السياق، ص 60-61
- 8- الطلحي، دلالة السياق، ص 56-57
- 9- الطلحي، دلالة السياق، ص 62 وما بعدها
- 10- سعد بن مقبل بن عيسى العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين (دراسة نظرية تطبيقية)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم الدراسات العليا الشرعية تخصص أصول الفقه، بإشراف الأستاذ الدكتور/ حمزة بن حسين الفعر، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، شعبة الأصول، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، 1427-1428هـ، ص 64
- 11- الطلحي، دلالة السياق، ص 64 / العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص 68: وانظر تفرعات الحال: مقتضى / قرينة / شاهد / بساط، الحال
- 12- الطلحي، دلالة السياق، ص 64 / و العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص 68
- 13- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة 1998م، ط 5، ص 71
- 14- الطلحي، دلالة السياق، ص 68
- 15- مجمع الأمثال للميداني، ج 3 ص 113
- 16- باتريك شارودو – دومينيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، ص 518
- 17- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد – الأردن 1427هـ - 2007م، ص 277
- 18- الطلحي، دلالة السياق، ص 82
- 19- الطلحي، دلالة السياق، ص 83
- 20- الطلحي، دلالة السياق، ص 85
- 21- الطلحي، دلالة السياق، ص 88
- 22- الطلحي، دلالة السياق، ص 91
- 23- الطلحي، دلالة السياق، ص 106
- 24- الطلحي، دلالة السياق، ص 106
- 25- الطلحي، دلالة السياق، ص 107
- 26- غازي مختار طلمات، في علم اللغة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق – سوريا 2000م، ط 2، ص 204
- 27- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 35
- 28- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 36
- 29- دلالة السياق للطلحي ص 136 وما بعدها

- 30- الطلحي، دلالة السياق، ص 137
- 31- الطلحي، دلالة السياق، ص 144
- 32- الطلحي، دلالة السياق، ص 157 وما بعدها
- 33- الطلحي، دلالة السياق، ص 148
- 34- فايز الداية، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)، دار الفكر، دمشق 1417هـ - 1996م، ط2، ص 217 / وهادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 263 وما بعدها
- 35- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت - لبنان، ط19، ص 363
- 36- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص 365
- 37- السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ج 25، تحقيق: مصطفى حجازي، 1409هـ - 1989م، ص 470-484 / أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، ج 2، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان 1987م، ص 853 / إساعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان 1990م، ط 4، ص 1498-1500 / أبو الحسن علي بن إساعيل بن سيده المرسي المعروف بابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج 6، تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان 1421هـ - 2000م، ط 1، ص 523 / صالح الصالح وأمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة، د.ت. دن، ص 279 / لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص 363 / أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د.ت. ص 456 / أبي عبد الرحمن الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي الخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، قم - إيران 1401هـ، ط 2، ج 5 ص 190 / أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت - لبنان 1411هـ - 1991م، ط 1، ج 3 ص 117 / جماعة من المختصين بإشراف أ.د. أحمد أبو حاق، معجم النفاث الكبير، دار النفاث، بيروت - لبنان 1428هـ - 2007م، ط 1، ج 1 ص 919 / إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استنبول - تركيا، مجمع اللغة العربية، د.ت. ج 1 ص 464 ص 465
- 38- الفراهيدي، كتاب العين، ص 456
- 39- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 25 ص 472 / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4 ص 1499
- 40- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4 ص 1499 / الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 25 ص 470
- 41- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 25 ص 471
- 42- جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت - لبنان 1412هـ - 1992م، ص 314
- 43- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 3 ص 117
- 44- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 25 ص 471
- 45- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 464
- 46- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 25 ص 472
- 47- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 464
- 48- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان 1378هـ - 1959م، ج 3 ص 253
- 49- السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، تحقيق: مصطفى حجازي ود. محمد مهدي علام، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مجمع اللغة العربية (مصر)، القاهرة 1408هـ - 1988م، ط 1، ج 5 ص 269
- 50- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 464
- 51- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4 ص 1499

- 52- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 464 / الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 25 ص 483 / الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج 5 ص 269
- 53- الزمخشري، أساس البلاغة، ص 314
- 54- صالح الصالح وأمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة، ص 279 / الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 25 ص 475
- 55- الفراهيدي، كتاب العين، ص 456
- 56- الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج 5 ص 269 / الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج 3 ص 253 / المحيط نت (معجم إلكتروني على صفحات الويب، بتأليف: أديب اللجبي وشحادة الحوري والبشير بن سلامة وعبد اللطيف عميد ونبيلة الرزاز، وراجعته ونسقه: أديب اللجبي ونبيلة الرزاز، موقع عجيب، قسم المعاجم، وقد اعتمدت عليه لغياب النسخة الورقية، أو المصورة لتأكيد المعلومات الواردة في المعاجم الأخرى، أما الأخذ منه وحيداً فنادر) / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 464 / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4 ص 1499 / ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 3 ص 117 / الزمخشري، أساس البلاغة، ص 314 / صالح الصالح وأمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة، ص 279 / الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 25 ص 475 / بطرس البستاني، محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)، مكتبة لبنان، بيروت 1987م، ص 441
- 57- المحيط نت
- 58- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 25 ص 475
- 59- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 25 ص 475
- 60- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 25 ص 475
- 61- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4 ص 1499
- 62- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 25 ص 474
- 63- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص 365 / ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج 6 ص 524
- 64- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 465 / جبران مسعود، الرائد (معجم لغوي عصري)، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان 1992م، ط 7، ص 457
- 65- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج 6 ص 524
- 66- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص 365 / صالح الصالح وأمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة، ص 279 / الزمخشري، أساس البلاغة، ص 314 / ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 3 ص 117 / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4 ص 1499 / الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج 3 ص 252 / الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج 5 ص 271 / ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج 6 ص 523 / محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، مكتبة لبنان، بيروت 1989م، ص 331 / المحيط نت / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 464 / الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 25 ص 472
- 67- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج 3 ص 252
- 68- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 3 ص 117 / صالح الصالح وأمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة، ص 279
- 69- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج 3 ص 252
- 70- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4 ص 1500 / جبران مسعود، الرائد، ص 457 / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 465 / الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 25 ص 476

- 71- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج25 ص483 / ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج6 ص524 / الزمخشري، أساس البلاغة، ص314 / الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج5 ص272 / الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ص253 / أ.د. أحمد أبو حاق، وجماعة من المختصين، معجم النفاث الكبير، ج1 ص919
- 72- الزمخشري، أساس البلاغة، ص314 / لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص363
- 73- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، نقله للعربية: د. محمد سليم النعيمي، سلسلة المعاجم والفهارس (32)، دار الرشيد للنشر، العراق 1980م، ج6 ص192
- 74- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج6 ص196
- 75- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج25 ص479 / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص465 / الفراهيدي، كتاب العين، ص456 / الفراهيدي، كتاب العين، ج5 ص190 / الزمخشري، أساس البلاغة، ص314 / ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج6 ص527 / لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص365 / أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق ثقافية، بغداد 1989م، ج2 ص54
- 76- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج25 ص479-481
- 77- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج25 ص476-477 / ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3 ص117 / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج4 ص1499 / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص464-465
- 78- أ.د. أحمد أبو حاق، وجماعة من المختصين، معجم النفاث الكبير، ج1 ص919
- 79- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج25 ص481
- 80- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص464-465
- 81- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج25 ص477 / الزمخشري، أساس البلاغة، ص314 / ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3 ص117 / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج4 ص1499
- 82- أ.د. أحمد أبو حاق، وجماعة من المختصين، معجم النفاث الكبير، ج1 ص919
- 83- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة 1429هـ - 2008م، ط1، ج2 ص1139
- 84- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص464
- 85- أ.د. أحمد أبو حاق، وجماعة من المختصين، معجم النفاث الكبير، ج1 ص919
- 86- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج25 ص474 / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج4 ص1499 / الزمخشري، أساس البلاغة، ص314
- 87- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج25 ص474
- 88- أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ج2 ص54
- 89- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص465
- 90- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج6 ص191
- 91- بطرس البستاني، محيط المحيط، ص441 / أ.د. أحمد أبو حاق، وجماعة من المختصين، معجم النفاث الكبير، ج1 ص919
- 92- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج25 ص478
- 93- بطرس البستاني، محيط المحيط، ص441 / أ.د. أحمد أبو حاق، وجماعة من المختصين، معجم النفاث الكبير، ج1 ص919
- 94- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج25 ص483 / الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج5 ص269 و ص272
- 95- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص363 / أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2 ص1137

- 96- رينهارت دوزي، تكلمة المعاجم العربية، ج 6 ص 191
- 97- محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، ص 331 / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 464 / أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 2 ص 1137
- 98- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج 3 ص 253
- 99- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص 365 / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 465 / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص 441 / أ.د. أحمد أبو حاق، وجماعة من المختصين، معجم النفاثس الكبير، ج 1 ص 920 / جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان 1984م، ط 2، ص 143
- 100- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 2 ص 1139 / المحيط نت
- 101- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 2 ص 1139 / المحيط نت
- 102- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 2 ص 1137
- 103- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص 365 / أ.د. أحمد أبو حاق، وجماعة من المختصين، معجم النفاثس الكبير، ج 1 ص 920 / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص 441
- 104- رينهارت دوزي، تكلمة المعاجم العربية، ج 6 ص 191
- 105- رينهارت دوزي، تكلمة المعاجم العربية، ج 6 ص 195
- 106- رينهارت دوزي، تكلمة المعاجم العربية، ج 6 ص 196
- 107- رينهارت دوزي، تكلمة المعاجم العربية، ج 6 ص 195
- 108- رينهارت دوزي، تكلمة المعاجم العربية، ج 6 ص 195 / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص 441
- 109- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 2 ص 1137
- 110- رينهارت دوزي، تكلمة المعاجم العربية، ج 6 ص 191
- 111- رينهارت دوزي، تكلمة المعاجم العربية، ج 6 ص 195
- 112- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص 142-143
- 113- العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص 64
- 114- العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص 66
- 115- العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص 68
- 116- العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص 69
- 117- العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص 70
- 118- العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص 71
- 119- العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص 73
- 120- الطلحي، دلالة السياق، ص 32
- 121- الطلحي، دلالة السياق، ص 43-44 و 51 / هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصرية، بغداد 1408هـ - 1988م، ط 1، ص 187
- 122- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص 342
- 123- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة 1989م، ص 150
- 124- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 2000م، ص 97

- 125- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص 128
- 126- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ص 17
- 127- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة 1419هـ - 1998م، ط 8، ص 207 / رومان ياكوسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة: علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان 2002م، ص 63 / حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص 128 و ص 139
- 128- غازي مختار طلبات، في علم اللغة، ص 31 / جان بريفو وجان فرانسوا سابليرول، المولد (دراسة في بناء الألفاظ)، ترجمة: خالد جهمية، مراجعة: د. حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2010م، ط 1، ص 9
- 129- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز، مراجعة: د. مالك يوسف المطليبي، آفاق عربية، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية (3)، بغداد 1985م، ص 25
- 130- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص 92
- 131- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مطبعة العمدة في الطبع، الدار البيضاء - المغرب 1426هـ - 2006م، ط 1، ص 124
- 132- غازي مختار طلبات، في علم اللغة، ص 24
- 133- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 43
- 134- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص 265
- 135- الطلحي، دلالة السياق، ص 2
- 136- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 236
- 137- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 3 ص 2203
- 138- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 3 ص 2204
- 139- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج 6 ص 239
- 140- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص 806
- 141- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 3 ص 2204 / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4 ص 1558 / الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ص 366
- 142- صالح الصالح وأمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة، ص 663
- 143- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج 6 ص 214
- 144- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج 5 ص 451
- 145- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج 5 ص 451
- 146- الزمخشري، أساس البلاغة، ص 630
- 147- أ.د. أحمد أبو حاق، وجماعة من المختصين، معجم النفاث الكبير، ج 2 ص 1989 / جبران مسعود، الرائد، ص 804 / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 918 / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص 891 / الزمخشري، أساس البلاغة، ص 630 / لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص 806
- 148- معجم الغني (معجم إلكتروني على صفحات الويب، بتأليف: د. عبد الغني أبو العزم، موقع عجيب، قسم المعاجم، وقد اعتمدت عليه لغياب النسخة الورقية، أو المصورة لتأكيد المعلومات الواردة في المعاجم الأخرى، أما الأخذ منه وحيداً فنادر)
- 149- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4 ص 1558 / ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5 ص 420

- 150- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5 ص 420 / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4 ص 1558 / الزمخشري، أساس البلاغة، 630
- 151- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 919
- 152- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 919 / الغني نت
- 153- أ.د. أحمد أبو حاق، وجماعة من المختصين، معجم النفاث الكبير، ج 2 ص 1989 / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص 891 / لويس المعلوف، المنجد في اللغة، 806
- 154- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 919
- 155- جبران مسعود، الرائد، ص 804
- 156- الغني نت
- 157- الغني نت
- 158- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5 ص 420 / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4 ص 1558
- 159- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5 ص 420
- 160- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4 ص 1558
- 161- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4 ص 1558 / أ.د. أحمد أبو حاق، وجماعة من المختصين، معجم النفاث الكبير، ج 2 ص 1989 / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 918 / لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص 806
- 162- الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج 5 ص 336 / الزمخشري، أساس البلاغة، ص 630
- 163- أ.د. أحمد أبو حاق، وجماعة من المختصين، معجم النفاث الكبير، ج 2 ص 1989 / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 918 / الزمخشري، أساس البلاغة، ص 630 / أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 3 ص 2204 / لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص 806
- 164- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5 ص 420 / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 919
- 165- الغني نت / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص 891 / أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 3 ص 2204
- 166- أ.د. أحمد أبو حاق، وجماعة من المختصين، معجم النفاث الكبير، ج 2 ص 1989 / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص 891
- 167- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص 806
- 168- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص 806 / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 918 / أ.د. أحمد أبو حاق، وجماعة من المختصين، معجم النفاث الكبير، ج 2 ص 1989 / الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج 5 ص 451
- 169- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج 5 ص 451 / المحيط نت / أ.د. أحمد أبو حاق، وجماعة من المختصين، معجم النفاث الكبير، ج 2 ص 1989 / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 918 / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص 891 / ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج 6 ص 239
- 170- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4 ص 1558 / الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج 5 ص 366
- 171- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج 5 ص 451
- 172- الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج 5 ص 366 / ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج 6 ص 239
- 173- ابن دريد، جمهرة اللغة، ج 2 ص 853
- 174- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 918 / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص 891

- 175- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج 5 ص 451 / الفراهيدي، كتاب العين، ص 957 / الفراهيدي، كتاب العين، ج 5 ص 81 / أ.د. أحمد أبو حاقا، وجماعة من المختصين، معجم النفاثس الكبير، ج 2 ص 1989 / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 919
- 176- حذّه وقدرّه: جميعه: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 570
- 177- الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج 5 ص 366
- 178- الزمخشري، أساس البلاغة، ص 630
- 179- الغني نت
- 180- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 3 ص 2203
- 181- الغني نت
- 182- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 919 / أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 3 ص 2204 / ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5 ص 420 / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4 ص 1558 / الغني نت / المحيط نت
- 183- أ.د. أحمد أبو حاقا، وجماعة من المختصين، معجم النفاثس الكبير، ج 2 ص 1989 / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 918 / أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 3 ص 2204
- 184- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 919
- 185- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج 6 ص 239
- 186- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص 806
- 187- المحيط نت
- 188- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج 5 ص 451 / الفراهيدي، كتاب العين، ص 957 / الفراهيدي، كتاب العين، ج 5 ص 81 / لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص 806
- 189- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 3 ص 2204
- 190- أ.د. أحمد أبو حاقا، وجماعة من المختصين، معجم النفاثس الكبير، ج 2 ص 1989
- 191- الطلحي، دلالة السياق، ص 5

الباب الثاني

اللُّغَةُ "أَنْسَاقُ" دَاخِلَ "السِّيَاقِ"

إمتداداً للفصل السابق، جاءَ هذا الفصل؛ لِيُقَدِّمَ حِوَاراً لُغَوِيّاً؛ فِي دَاخِلِ اللُّغَةِ ذَاتِهَا، مُسْتَكشِفاً الانقساماتِ، والتبايناتِ الحادثةِ.

اللُّغَةُ "نِظَامٌ" (1) يَتَأَسَّسُ بِهِ (2) وَعِي الْفَرْدِ (3)، بِلِ الْجَمَاعَةِ اللُّغَوِيَّةِ بِكَامِلِهَا (4) يَرْتَبِطُ إِرتِبَاطاً لَا فِكَاكٌ مِنْهُ بِهَذَا النِّظَامِ. اللُّغَةُ، النِّظَامُ، السِّيَاقُ، النِّصُّ الْكُلِّيُّ؛ مُصْطَلِحَاتٌ وَمَفَاهِيمٌ (5) تَعْبُرُنَا؛ تَخْتَرُقُ حَيَوَاتِنَا

الآيَّةِ مُؤَسَّسَةً نَمَطاً مَعِيشِيًّا اِنْعَكَسَتْ آثَارُهُ وَتَبَدَّتْ عَلَى سُلُوكِيَاتِنَا حَتَّى بَاتَتِ الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ الصَّادِرَةُ عَنَّا خَاضِعَةً لِسُلْطَةِ اللُّغَةِ، وَلِسِيَاقِهَا الْمُؤَسَّسِي.

اجْتِمَاعِيًّا "الفرد" وَحِدَةً صُغْرَى مِنَ الْوَحَدَاتِ التَّرْكِيبِيَّةِ لِلْمُجْتَمَعِ، دَوْرُهُ الْمَحْورِيُّ لَيْسَ التَّاسِيسَ، بَلِ الْخُضُوعُ التَّامُّ لِسُلْطَةِ مُتَوَرِّثَةٍ عَبْرَ أَجْيَالٍ وَأَجْيَالٍ؛ تَتَعَابَقُ فِي سِلْسِلَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الْقَوَانِينِ اللُّغَوِيَّةِ؛ الْمُنْظَمَةِ لِْمُخْتَلَفِ جَوَانِبِ حَيَاتِنَا، وَلَعَلَّ أْبْرَزَ مِثَالٍ لِّلْسُلْطَةِ اللُّغَوِيَّةِ يَتَّضِحُ بِشَكْلِ جَلِيٍّ فِي الْحَاكِمِيَّةِ (6) الدِّينِيَّةِ (7) الْمُنْظَمَةِ لَشُؤُونِ الْبَشَرِ، أَكَانُوا أَفْرَادًا، أَمْ جَمَاعَاتٍ؛ لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ، فَالْحَاكِمِيَّةُ "نِظَامٌ" مُؤَسَّسٌ عَبْرَ سُلْطَةِ اللُّغَةِ.

إِنَّ اِخْتِرَاقَ النِّظَامِ أَمْرٌ بِالْغِ الصُّعُوبَةِ، غَالِبًا مَا يُؤَدِّي إِلَى نَبْذِ الْمَخْتَرِقِ، وَإِقْصَائِهِ بَعِيدًا، فَمَعْنَى الْحَيَاةِ فِي مُجْتَمَعٍ هُوَ الْاِسْتِسْلَامُ، وَالْخُضُوعُ لِسُلْطَةِ ذَلِكَ الْمَجْتَمَعِ، وَلِسُلْطَةِ الْقَوَانِينِ اللُّغَوِيَّةِ الْمَتَّبَعَةِ فِيهِ، وَأَيُّ اِهْتِرَازٍ فِي الْقَوَانِينِ إِنَّمَا يَعْنِي اِهْتِرَازًا فِي السُّلْطَةِ (8) ذَاتِهَا، وَهُوَ مَا يُجَاهِدُ اللُّغَةَ لِلْبَعْدِ عَنْهُ.

قَدْ يَحْدُثُ أَحْيَانًا اِهْتِرَازٌ فِي سُلْطَةِ اللُّغَةِ، لَكِنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي لِتَكُونِ، وَنُشُوءِ (9) سُلْطَةِ جَدِيدَةٍ غَالِبًا، وَلَنَا فِي مِثَالِ الرِّسَالَةِ الْمَحْمَدِيَّةِ خَيْرَ شَاهِدٍ عَلَى ذَلِكَ، إِذِ الْحَيَاةُ الْعَرَبِيَّةُ سَارَتْ رَدْحًا طَوِيلًا وَفَقَّ سُلْطَةَ لُغَوِيَّةٍ مُحَدَدَةٍ، ثُمَّ بَزَغَ الْفَجْرُ الْإِسْلَامِيُّ بِسُلْطَةٍ جَدِيدَةٍ؛ أَزَاحَتْ جَانِبًا سُلْطَةَ الْجَاهِلِيَّةِ (10) الْمَغْرُوسَةِ فِي نَفُوسِ أَهْلِهَا، وَكَمْ كَانَ التَّغْيِيرُ صَعْبًا!!

السِّيَاقُ السُّلْطَوِيُّ الْإِسْلَامِيُّ قَادَ الْمَرْحَلَةَ الرَّاهِنَةَ آنَذَاكَ، لَمْ يَسْتَنْسِخْ قَوَاعِدَ اللَّعْبَةِ الْجَاهِلِيَّةِ، بَلِ أَوْجَدَ قَوَاعِدَ جَدِيدَةً سَارَ النَّاسُ وَفَقَهَا فِي تَنْظِيمِ جَمِيعِ شُؤُونِهِمْ، حَيْثُ رَسَمَ طَرِيقَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْذُ لِحْظَةِ مِيلَادِهِمْ وَصَوْلًا إِلَى نَتِيجَةِ حَيَاتِهِمُ الْكَلِيَّةِ؛ إِمَّا الْجَنَّةُ (11)، أَوْ النَّارُ (12).

تَغَيَّرَتِ الْمَفَاهِيمُ (13)، وَالْمِصْطَلِحَاتُ فِي عُرْفِ الْعَرَبِيِّ، وَذِهْنِهِ، حَيْثُ بَاتَتِ الْقَوَانِينُ الْقَدِيمَةُ غَيْرُ نَافِعَةٍ فِي مُمَارَسَةِ الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ؛ إِذْ اِنْتَفَتِ الْمُسْلِمَاتُ السَّابِقَةُ وَحَلَّتْ مَكَانَهَا مُسْلِمَاتٌ جَدِيدَةٌ أُشْبِعَتْ بِرُوحِ الْقِيَمِ السَّمَائِيَّةِ الْعَالِيَا.

في الطَّرْفِ الآخِرِ؛ البعيدِ، وُجِدَتِ التَّكْثُلَاتُ المَبَاهِضَةُ لِلسُّلْطَةِ القَادِمَةِ مِنَ السَّمَاءِ، حَيْثُ أَصْرَتِ عَلَى اتِّبَاعِ السُّلْطَةِ اللُّغَوِيَّةِ القَدِيمَةِ؛ الجَاهِلِيَّةِ؛ مُسْتَرشِدَةً بِهَا، وَهَذَا مَا وَلَدَ نَسَقًا، وَ نَسَقًا مُضَادًّا فِي دَاخِلِ السِّيَاقِ اللُّغَوِيِّ، إِسْتَمَرَّ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَانِ، ثُمَّ تَلَاشَى النِّسْقُ المِضَادُّ، بَعْدَ أَنْ وَهَنْتِ قَوَاهُ، وَخَارَتْ عَزِيمَتُهُ، فَآثَرَ الِاسْتِسْلَامَ لِلوَفَادِ الجَدِيدِ، وَانضَمَّ إِلَيْهِ، فَأَصْبَحَ السِّيَاقُ اللُّغَوِيُّ سِيَاقًا إِسْلَامِيًّا مُهَيْمِنًا عَلَى العَقْلِيَّةِ العَرَبِيَّةِ (14)، وَاخْتَفَى النِّسْقُ المِضَادُّ، أَوْ كَادَ.

هل فعلاً اختفى النسق المضاد؟ سؤالٌ مُخَيِّرٌ بِطَوْلِ التَّارِيخِ العَرَبِيِّ الطَّوِيلِ (15)، وَلَعَلَّ أَقْرَبَ إِجَابَةٍ عَلَيْهِ نُشَاهِدُهَا فِي إِنتِقَالِ السُّلْطَةِ مِنْ مَرَحَلَةِ الخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ إِلَى المَلَكِيَّةِ الأُمَوِيَّةِ (16)؛ إِذْ حَدَثَ إِنتِقَالٌ لِلقِيَمِ الإِسْلَامِيَّةِ السَّمَاوِيَّةِ، وَصَاحِبَتُهَا قِيَمُ القَبِيلَةِ الجَاهِلِيَّةِ، مِمَّا أَوْجَدَ إِزْدَوَاجِيَّةً فِي المَفْهُومِ الدِّهْنِيِّ (17) ؛ المَشْكَلِ حَدِيثًا؛ آنذاك.

الفصل الأول

اللغة / كيان

إنَّ الإنسانَ لسانٌ (18)، حيثُ يُعتبرُ وعاءٌ للتاريخِ الثقافي (19)، فأعظمُ إكتشافٍ عرفهُ الإنسانُ على مرِّ العصورِ هو اللغةُ (20)، إذ التاريخُ الاجتماعي وتاريخُ اللسانِ مُرتبطانِ إرتباطاً لا ينحلُّ (21).

"الذَّاكِرَةُ الاجتماعيَّةُ، وتجربةُ الماضيِّ، والتَّأصُّلُ في التاريخِ ضروريَّةٌ للوعي الذي يُمكنُ أن يكونَ للمجتمعِ بذاته. يُساهمُ التاريخُ على نطاقٍ واسعٍ في تأسيسِ تناسُقِ هذا الوعي، وهو وحدهُ الذي يُنشئُ الشُّعورَ بالهوية، ولا يُمكنُ فصلُ الثقافةِ ذاتها عن التاريخِ بما فيها الثقافةُ العلميَّةُ. إنَّ تاريخَ المجتمعِ وثقافتهِ وعقليتهِ لا تنفصلُ عن تاريخِ لسانهِ" (22).

إنَّ اللغةَ أداةٌ ذاتُ أهميةٍ بالغةٍ في الحضارةِ الإنسانيةِ. إنَّها شيءٌ لا غنىَ عنه، وهي مُلكٌ مُشاعٌ لكلِّ طبقاتِ المجتمعِ من أعلاها إلى أدناها (23)، و لا شكَّ في أنَّها تُشكِّلُ جزءاً من الوعي الثقافيِّ للجماعةِ (24)، حيثُ تُعتبرُ مُكوِّناً للثقافةِ، ولكنَّها "تكوُّنُ أساساً لمجموعةِ الظواهرِ الثقافيةِ، وقاعدتها، ووسيطها الكلي" (25).

اللغةُ لا بدَّ لها من جماعةٍ تَستخدمها حتى تصبحَ لغةً (26)، فالعلاقةُ بينهما تبادليَّةٌ، إحتياجُ الجماعةِ إلى لغةٍ أمرٌ ضروري، بل حاسمٌ لها؛ لِتتمكنَ من التواصُلِ (27) في ما بينَ أفرادها، وتبقى اللغةُ الحاملَ لِثقافةٍ وفكرِ الجماعةِ (28).

من هنا منشأُ الإحتياجِ لكليهما؛ اللغةُ والجماعةُ، فاللغةُ "ظاهرةٌ اجتماعيَّةٌ" (29)، وهي أداةٌ للتعبيرِ عمَّا يدورُ في المجتمعِ، فهي تُسجَلُ لنا في دِقَّةٍ، ووضوحِ الصُّورِ المختلفةِ؛ المتعددةِ الوجوهِ لهذا المجتمعِ؛ من حضارةٍ ونُظُمٍ وعقائدٍ واتجاهاتٍ فكريَّةٍ وثقافيةٍ وعلميةٍ وفنيةٍ واقتصاديةٍ، وغيرَ ذلك" (30)، فاللغةُ "هي في كلِّ لحظةٍ بناءٌ حاضرٍ، ونتيجةٌ ماضٍ، وهي حركةٌ متطورةٌ" (31).

الفردُ الذي يولدُ في محيطٍ له ثقافةٌ خاصةٌ، سيفكرُ بالاعتمادِ على مفرداتٍ تتصلُّ بوسيلةِ التعبيرِ الشائعةِ في جماعتهِ، وإنَّ طبيعةَ تفكيرِهِ بالتالي ستكوُّنُ متأثرةً بذلك، فنحنُ عندما نريدُ دراسةَ الطريقةِ التي يُفكرُ بها أيُّ شعبٍ من الشعوبِ، فإننا ندرسُ لغةَ هذا الشعبِ (32).

اللغةُ "هي عبارةٌ عن نسقٍ من الإشاراتِ (33) يُمكنُ أن يُستعملَ للتواصُلِ، أو بمعنى آخر هي تلكَ القابليةُ التي يتوفَّرُ عليها الإنسانُ؛ لإختراعِ الرُّمُوزِ بكيفيةٍ مُعتمِدةٍ"، أمَّا الفكرُ "فهو ذلكَ الوعاءُ الذي يحوي التَّصورَ والتَّخيلَ والذاكرةَ، والدِّكاءَ، ومحركَ الفكرِ هو الدِّكاءُ، والدِّكاءُ عندَ الإنسانِ لا يبلغُ درجةَ الكمالِ إلَّا عندما يُصبحُ عقلاً، ونشاطاً تجردياً يستعملُ المفاهيمَ والتَّصوراتِ بواسطةِ اللغةِ" (34).

"إنَّ أهميةَ اللغةِ لفهمِ الثقافةِ حقَّ الفهمِ أمرٌ أخذَ يُحسُّ به من يعرضونَ لِدراسةِ الحضاراتِ؛ وذلكَ لأنَّ أيَّ نظامٍ لغويٍّ تعبيرٍ عن نظامِ إدراكِ جماعةٍ من الجماعاتِ لبيئتها ولنفسها، وإنَّ لم يكنْ هذا التعبيرُ كاملاً ومن

ثُمَّ فلا يستطيع أن يفهم حضارة ما حقَّ الفهم منَّ يجهلُ وسيلتها اللغوية في التعبير" (35)، فاللغة "تعدُّ من أصدق الوسائل، وأدقها في الكشف عن طبيعة المجتمعات، وسماتها الحضارية" (36).

البحث في اللغة عميقٌ بعمق التاريخ الإنساني الممتدِّ على هذه الأرض، فعلى الرغم من كون الحديث عن أولية اللغة، ومصدرها بات من المحرّمات؛ لعدم الفائدة المرجوة منه، ولأنّها "لا تقبلُ حلاً عملياً في الحالة الراهنة لمعلوماتنا" (37) إلا أنَّ البعض؛ بين وقتٍ وآخر، يحاول التسلل للإجابة على هذا التساؤل.

أولية اللغة، أو مصدرها أمرٌ غيرٌ مُقلقٍ، فلن تُشكّلَ فارقاً وقت الاستعمال، بل المعوّل عليه قوانينها الدّاخلية؛ العاملة على تنظيم حركة الكلمات في الجملة؛ مما يُفرزُ نصوصاً مُتناسقةً تُؤدي الغرض المقصود منها.

لو أردنا تقريب الصورة قليلاً، فإننا سوف نضربُ مثلاً من عالم الطبيعة؛ للتوضيح لا للتشبيه، والتّمثيل: إنَّ "المجموعة الشمسية" تسيّر على نظامٍ معينٍ منذُ الأزمان القديمة، فهي "منظمةٌ" في ذاتها، ولو عجزنا نحن عن إدراك هذا النظام، فليس معنى هذا أنّها غيرٌ منظمةٍ، ولو اتضح لنا بعد زمنٍ أنَّ في وصفنا لهذا النظام، وتقريرنا لحقائقه خطأً أو أخطاءً، فليس يعني هذا، ولا ينجُم عنه بالضرورة أن نظامها قد أصابه الاختلال، وعراه الخطأ. إنّها شيءٌ مُنظَّم بطبعه، ثمَّ يأتي عالمٌ فيصفُ هذا النظام، أو يُحاولُ وصفه حسب ما أُوتي من "علم" (38).

السؤال المتبادرُ إلى أذهاننا؛ الآن: ما اللغة؟ (39) وكيف أصبح لها هذا التنظيم؟

"اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان، ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبنّاها مجتمع ما؛ لِيُساعد أفرادَه على ممارسة هذه الملكة" (40)، فهي "موجودة على هيئة ذخيرة من الانطباعات مخزونة في دماغ كلِّ فردٍ من أفرادِ مجتمعٍ معين: ويكادُ ذلك يُشبه المعجم الذي تُوزعُ منه نُسخٌ على كلِّ فردٍ في المجتمع، فاللغة لها وجودٌ في كلِّ فردٍ، ومع ذلك، فهي موجودة عند المجموع" (41).

أو هي "أصواتٌ يُعبرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضِهِم" (42)، بحسبِ التعريفِ العربيِّ القديمِ، فاللغةُ والمجتمعُ والحضارةُ ظواهرٌ متداخلةٌ متكاملةٌ (43)، ولا يُمكنُ بحالٍ من الأحوالِ الفصلُ بينهم.

تتنوعُ التعريفاتُ، وتتعدّدُ، فلكلِّ عالمٍ لغويٍّ تعريفٌ للغةٍ، يتفقُ قليلاً، أو يختلفُ عن الآخرين، لكنّ اللافتَ للنظرِ إتفاقُهُم، أو غالبيتُهُم، على أهميةِ اللغةِ، وصلتها بالفردِ، والمجتمعِ.

يكتسبُ الفردُ لُغتهُ صغيراً، فتَنمو معه؛ وتزدادُ حصيلتُهُ اللغويةُ كلما احتكَّ بالأفرادِ الآخرينَ، ولا تتوقفُ قطُّ عن التُّمو، إلّا بفناءِ صاحبها، وموتهِ.

الجانبُ البشريُّ مُعقّدٌ جداً، تمايزاتٌ، اختلافاتٌ، عِراكاتٌ، رَغباتٌ، أهواءٌ، وهلمَّ جراً، واللغةُ من هذا الجانبِ مُعقّدةٌ أشدَّ التعقيدِ، فهي انعكاسٌ نفسيٌّ، وتلبيةٌ لرغباتٍ داخليةٍ قبلَ أيِّ شيءٍ آخرَ (44).

قياساً على تعقيدِ النفسِ البشريةِ، نجدُ المجتمعَ في استعمالهِ اللغويِّ أشدَّ تعقيداً من ذلكِ بكثيرٍ، حيثُ تتضخّمُ الذاتُ الفرديةُ، وتتحولُ إلى إجتاهاتٍ مُتناوئةٍ؛ مُتعاكِسةٍ في النَّظرِ إلى الأمورِ، كما أنّ النَّظرةَ تتمدّدُ، وتتسعُ؛ لتشملَ مختلفَ الشرائحِ البشريةِ في المجتمعِ.

تَعميدُ اللغةِ إنما ينصبُّ في كونها "نظاماً" تشابكُ العلاقاتِ بينَ وحداتِهِ (45) التي يتكوّنُ منها، وأهمُّ وحدةٍ فيه؛ الفردُ، ثمَّ المجتمعُ.

يَستحيلُ وجودُ اللغةِ لدى فردٍ واحدٍ بمعزلٍ عن مجموعةٍ بشريّةٍ (46)، ولذا اعتُبرت "نظاماً"، فالنظامُ لا يُوجدُ إلّا في جماعةٍ ما.

النِّظامُ شيءٌ معقّدٌ لا يُمكنُ فهمُهُ إلّا بعدَ التأملِ (47) فيه، وهذه اللغةُ يَستحيلُ إدراكُها كُلُّها إلّا بعدَ التأملِ فيها، بل رُبما استحالَ إدراكُها كُلُّها حتّى معَ التأملِ العميقِ؛ إذ يبدو من المحالِ إلمامُ أحدٍ بجميعِ جوانبِ اللغةِ مهما بلغَ ما بلغَ.

ما النِّظامُ الذي نتحدّثُ عنه في اللغةِ؟

تتميز اللغة بصفة بارزة؛ غريبة، وهي عدم امتلاكها كيانات يمكن رؤيتها منذ البداية، ومع ذلك لا نشك أن هذه الكيانات موجودة، وإن وجودها يتوقف على عملها (48).

لولا اللغة أصبحت الفكرة شيئاً مبهماً، غير واضح المعالم؛ إذ لا توجد أفكار يسبق اللغة وجودها (49)، ولا تتميز هذه الأفكار قبل ظهور اللغة (50)، فالشيء؛ الفكرة لا يسبق وجهة النظر، بل إن وجهة النظر، على ما يبدو هي التي تخلق الشيء؛ الفكرة (51).

"اللغة، لها كيان موحد قائم بذاته، فهي تخضع للتصنيف، وهذا التصنيف يُضفي نظاماً طبيعياً على كتلة غير متجانسة هي اللسان" (52).

النظام اللغوي متشعب؛ وحيث أننا نتعامل مع اللغة باللغة، ونشرح اللغة باللغة، فإن الأمر يزداد صعوبةً.

تحتوي اللغة مجموعة من الأنظمة في داخلها (53)، إذ توجد الأنظمة الصوتية، والنحوية، والصرفية؛ التي تُعتبر الأساس لبقية الأنظمة؛ حيث تأتي الأنظمة التواصلية؛ أو الاتصالية بما تحمل معها من بلاغيات، ولغويات، ولسانيات، فاللغة من حيث هي وظيفة إنسانية تتبدى في أشكال نظم إنسانية اجتماعية تُسمى اللغات، أو "اللهجات"، أو أي اسم آخر (54).

إن كل نظام يتفرع كالشجرة إلى أنظمة صغرى (55) تُساعد في بناء الكلمة، أو الجملة، أو النص، وهي كلها روافد الخطاب؛ خطاب اللغة؛ الحامل للمعنى (56).

اللغة، اللسان، الكلام (57) مصطلحات ثلاثة متكاملة؛ فاللغة ظاهرة إنسانية عامة (58) يشترك فيها جميع الأفراد، فهي "كيان عام يضم النشاط اللغوي الإنساني، في صورة ثقافة منطوقة، أو مكتوبة، معاصرة أو متوارثة، وبعبارة أخرى: كل ما يمكن أن يدخل في نطاق النشاط اللغوي من رمز صوتي أو كتابي، أو إشارة أو اصطلاح (59).

أما اللغة المعينة، فيُنظر إليها بطريقتين؛ الأولى: باعتبارها لساناً، والثانية: باعتبارها كلاماً، فاللسان يكون في "صورة منظمّة" (60) ذات قواعِد وقوانين، وذات وجود اجتماعيٍّ (61)، و"جماعيٍّ، مُستقلة عن الفرد، وهي مُستودع العلامات" كالعربية، وغيرها (62)، والكلام يكون في "صورة مُمارسة فردية منطوقة، على أيّ مستوى" (63)، مما يعني "تحقيقاً فعلياً (عملياً) لأجزاء من بِنانِ اللغة فهو فرديٌّ، وآيٌّ وهو مُعرّض للتبدّل والتغيّر على نطاقٍ واسع نتيجة اختلاف المتحدثين ومُستوياتهم"، ومُمثّل الكلام نوعاً من الاختيار أو الابتكار مُقابل تعلّم (اللغة) بطريقةٍ وكمّ لا مجال للتحكّم فيه ولا اختيارٍ (64).

إتجاهان مُتضادّان؛ الانتصار للغة، أو الانتصار للمجتمع؛ ثنائية حوارية طفت إلى السطح إزاء اللغة، فاللغويُّ يُشدّد على "سلطان اللغة الذي لا يُقاوم" (65)، والاجتماعيُّ يُؤكد على أنّ المجتمع "صاحب الفضل الأكبر عليها (اللغة)؛ لأنّه مصدرها الأول" (66).

بين الاتجاهين سماتٌ مُشتركة، فالكلُّ مُتفقٌ على اجتماعية اللغة، إنّما الاختلاف واقعٌ في التأثير، وكمّيته؛ تأثير اللغة في المجتمع، وتأثير المجتمع في اللغة، إذ يبدو من المجال إدراك كميّة التأثير المتبادل بينهما، لكنّ التأثير واقعٌ أكيدٌ فيهما.

لكلّ فريق أسبابه الوجيهة في التمسك برأيه؛ تبعاً لنهجه الفكريّ، وفي هذا الكتاب ميلٌ إلى الرأي الأول؛ المنتصر للغة، دون الاعتراض، أو التشنيع، والسُّخرية على أصحاب الرأي الآخر، بل زُيماً أتى يومٌ ينتصر فيه الرأي الآخر، ويتبين صوابه وخطأ القائلين بغيره.

لغة سلطان - هكذا سنسير في الآتي من الحديث؛ إتماماً لما بدأنا به - لا يُقاوم، "قادرٌ على أن يُحدّد نظرنا إلى الحياة، ويرسّم طريقنا فيها" (67)، و"أنّ الإنسان ليس حُرّاً فيما يأخذ ويتبدّد، ويُناصر ويُنافر. وإنّما هو عبدٌ طيِّع في يد اللغة التي تُعرّفه الواقع، وتُحدّد موقفه من المشكّلات الاجتماعية المحيطة به من كلّ جانب" (68).

"اللغة بحكم طبيعتها العرفية والقانونية والمؤسسية، وبحكم سلطتها وقوة كلماتها، تكون ملزمةً لنا والآخِر، وبعبارة أخرى تُستعمل للإلزام والالتزام، وستتجلى لنا سلطة اللغة أو سلطة الكلام بشكل أكبر عندما نقف عند بعض المعايير والمبادئ التي تُعتمد عادةً في التصنيف والتّمييز بين الأفعال اللغوية" (69)، ولعلّ أهمّ المعايير التصنيفية ذلك النّمط "الذي يجعل فيه المتكلم الواقع مطابقاً لكلماته" (70).

"إننا نستعمل اللغة لإنجاز أفعال عديدة، ولتغيير الواقع أو تغيير علاقتنا معه وللتأثير في الغير وفي الأشياء، ومن هنا سلطتها وسلطانها، وقوة كلماتها" (71).

إنّ "للّكلام سلطاناً ما بعده سلطان"، وإنّ "للّكلمات قوة عظيمة لا تُخفى، وتأثيراً قوياً لا يُنكر" (72).

الكيان الكامل مُحْتَاجٌ إلى ربط عميق بالذاكرة البشرية؛ لتعود إليه وقت احتياجها، فلا يكفي العرف في تأسيس هذا الرابط، بل إنّها تُحْتَاجُ إلى عقد مكتوب يعود إليه المتحدّثون؛ كلّمًا أشكل شيءٌ عليهم، ويتمثل هذا العقد في ما اصطُحِحَ على تسميته بالـ "معاجم".

المعجم وحدة ذات أهمية بالغة في حفظ الكيان وأُسُسِهِ، فالمراحل التاريخية المتعاقبة أفرزت ألواناً متعدّدة التّغيرات احتواها الـ "معجم"، ونظّمها (73)، ثمّ أعاد إخراجها وفق أُسُسِهِ المرحلية، التي هي أساساً مُتوافقة مع أُسُسِهِ الكُلية.

"إنّ تعدّد المفاهيم التي يدلّ عليها اللفظ تعني أنّ هذا اللفظ له معنى مركزيّ هو (النّواة)، ومعانٍ هامشية ثانوية اكتسبها بفعل دورانه المتجدّد في أنساقٍ كلامية مختلفة، حتى أضحى المعنى المركزيّ يدور في فلك المعانيّ الثّانوية التي لا تفاضل بينها وأصبح طريق رفع اللبس في الدلالة يمرّ عبر السّياق اللغويّ أو الخطابيّ أو مُعاينة المقام الذي يتمثّل في المعطيات الخارجية والنفسية" (74).

"اللغةُ تُمَثِّلُ نِظاماً من الرُّموزِ "الكلماتِ" (75)، "ويُستوعبُ هذا النِّظامُ في كُتُبٍ تُحفظُ المفرداتِ ودلالاتِها، هي المعاجمُ"، "ثمَّ يُلحظُ في (اللغةِ) الشُّمولَ والاكتمالَ، والاستقرارَ الذي يَخضعُ لبعضِ التَّبدلاتِ ببطءٍ وعبرَ أزمانٍ مُتطاولةٍ، وكذلكَ يتبينُ دورَ الجُماعةِ البَشَريَّةِ في تَكوينِ اللُغةِ وبنائِها" (76).

الفصل الثاني

اللغة / كيان ثقافي

"كلمة ثقافة (77) Culture ذاتها كلمة مُضَلَّلَةٌ، لأنَّ لها معنيين مُحْتَمَلَيْنِ. فهي عند عالم الأجناس البشرية تعني الحَصيلة الكُلية للتقاليد والعادات، والأعراف، وطُرُق الحياة لأيِّ طائفةٍ إجتماعيةٍ سواءً كانت مُتقدِّمةً لدرجةٍ عاليةٍ أو مُتأخِّرةً... أمَّا كلمة ثقافةٍ في مدلولها التَّقليديِّ فترتبطُ بالممارسة المتقدمة للحضارة التي عادةً ما تُعبَّرُ عن نفسها عن طريقِ اللغة المكتوبة وتشمُلُ أشياءً مثلَ الأدبِ والشِّعرِ والفلسفةِ والعِلْمِ والحَصيلةِ الفكريةِ والمستوياتِ المرتفعةِ للحياةِ والاتصالِ وحِفظِ الصِّحةِ..."

إنَّ ثقافةَ أيِّ أمةٍ أو جماعةٍ ترتبطُ ارتباطاً وثيقاً بنمطِ لغتها ما دامت الأخيرةُ تعكسُ عادةً نشاطاتِ هذه الطائفةِ" (78).

" لا شكَّ أنَّ اللغةَ تُشكِّلُ جزءاً من الوعيِّ الثقافيِّ للجماعة... فاللغةُ في الغالبِ مفتاحُ لِسُلوكِ الجماعةِ، وتَسْمَحُ بالتنبؤِ بِمشكلةٍ رَدِّ فعلِ الجماعةِ تجاهَ المواقِفِ المتنوعةِ" (79).

الثَّقَافَةُ كَلِمَةٌ مُوجِزَةٌ، إِنَّمَا مَدَلُوهَا مُتَشَعِّبٌ، وَمُتَنَوِّعٌ، إِنَّهَا كِيَانٌ مُعَقَّدٌ أَشَدَّ التَّعْقِيدِ، يَحْتَمِلُ إِخْتِرَالَاتٍ عَمِيقَةً لِأَبْعَادٍ مُتَعَدِّدَةٍ؛ كَالتَّارِيخِ، وَالتُّرَاثِ، وَالسِّيَاسَةِ، وَالاِقْتِصَادِ، وَالدِّينِ، وَالعِمْرَانِ، وَالأَدَبِ بِأَقْسَامِهِ، وَهَلَمَّ جَرَا.

البَحْثُ فِي كَلِمَةِ "ثَقَافَةٍ" يُشَابَهُ البَحْثُ فِي كَلِمَةِ "أَدَبٍ"؛ "كَلِمَةُ الأَدَبِ كَلِمَةٌ مُوجِزَةٌ بَسِيطَةٌ فِي ظَاهِرِهَا وَلَكِنَّ الاِقْتِرَابَ مِنْهَا لِمُحَاوَلَةِ تَعْرِيفِهَا يُبَيِّنُ أَنَّهَا مُعَقَّدَةٌ أَشَدَّ التَّعْقِيدِ" (80).

الأَدَبُ يُنتِجُ تَأْثِيرًا (81)، كَذَلِكَ الثَّقَافَةُ تُؤَثِّرُ تَأْثِيرًا مَلْمُوسًا فِي لُغَةِ النَّاسِ، وَحَيَاتِهِمْ (82)، وَالأَدَبُ يَسْتَعْمَلُ اللُّغَةَ فِي عَمَلِهِ، بَيْنَمَا الثَّقَافَةُ تَشْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ؛ لُغَوِيًّا كَانَ أَمْ غَيْرَ لُغَوِيٍّ (83).

"لَا يُشْتَرَطُ فِي الأَدَبِ أَنْ يُضَيَّفَ إِلَى القَارِئِ عِلْمًا جَدِيدًا" (84)، لَكِنَّ الثَّقَافَةَ تَعْمَلُ دَوْمًا عَلَى تَوْجِيهِ الفِرْدِ، وَإِعْطَائِهِ وَجْهَةَ النَّظَرِ إِلَى الأَشْيَاءِ؛ إِذْ تُعِيدُ صِيَاغَةَ فِكْرِهِ بِنَاءً عَلَى المَعْطِيَاتِ المَتَوَفَّرَةِ.

هُنَاكَ "حَيْثُ تَنْتَهِي العِلْمُ بِحَقَائِقِهَا يَبْدَأُ الأَدَبُ طَرِيقَهُ بَعْدَ ذَلِكَ" (85)، أَمَّا الثَّقَافَةُ فَهِيَ الحَامِلُ لِتِلْكَ الحَقَائِقِ العِلْمِيَّةِ، وَالقِيَمِ الاجْتِمَاعِيَّةِ (86)، وَلَا تَكْتَفِي بِذَلِكَ، بَلْ تَعْمَلُ عَلَى اسْتِخْلَاصِ النَتَائِجِ مِنْهَا؛ إِنَّهَا بَحْثٌ طَوِيلٌ عَنِ المَعْرِفَةِ بِكَافَةِ أَشْكَالِهَا، وَفُرُوعِهَا.

"إِنَّ الأَدَبَ أَشَدُّ تَعْقِيدًا مِنَ العِلْمِ لِأَنَّ الإِنْسَانَ مَادَةٌ هَذَا الأَدَبِ وَمِحْوَرُهُ كَائِنٌ مُعَقَّدٌ أَشَدَّ التَّعْقِيدِ" (87)، وَالثَّقَافَةُ بِهَذَا المَفْهُومِ أَشَدُّ تَعْقِيدًا مِنَ الأَدَبِ، لِأَنَّ الأَدَبَ بِنِيَّةٍ مِنْ بِنِيَاتِ الثَّقَافَةِ المِتَعَدِّدَةِ.

الْكِيَانُ الثَّقَافِيُّ كِيَانٌ حَيٌّ مُتَطَوِّرٌ، مُتَسِعُ الأَفْقِ، شُمُولِيٌّ، اِبْتِكَارِيٌّ، سُلْطَوِيٌّ، مُتَعَلِّغٌ فِي طَبَقَاتِ المَجْتَمَعِ، ذُو تَأْثِيرٍ، وَامْتِدَادٍ بِكَافَةِ النُّظُمِ المَعْرِفِيَّةِ وَاجْتِمَاعِيَّةِ.

الثَّقَافَةُ كُلِّيَّةٌ، وَاللُّغَةُ مُفْرَدَةٌ مِنَ المَفْرَدَاتِ المِشْكَلَةِ لَهَا، وَلَا نَسْتَطِيعُ التَّأَكِيدَ؛ هَلْ إِنَّ اللُّغَةَ أَهَمُّ مُفْرَدَةٍ ثَقَافِيَّةٍ (88) أَمْ لَا؟ لَكِنِهَا تَحْتَلُّ مَوْقِعًا مُمَيِّزًا بِالتَّأَكِيدِ دَاخِلَ المِنْظُومَةِ الثَّقَافِيَّةِ المِتْكَامِلَةِ.

أَبْرَزُ تَغْيِيرٍ حَدَثَ عَلَى المِستَوَى الثَّقَافِيِّ كَانَ اِنْتِقَالَ الإِنْسَانِ العَرَبِيِّ مِنَ طَوْرِ الجَاهِلِيَّةِ، وَنَمَطِهَا إِلَى الطَّوْرِ وَالنَّمَطِ الإِسْلَامِيِّ (89)، فَلَقَدْ اِنْتَقَلَتِ الحَيَاةُ العَرَبِيَّةُ مِنَ النَّمُودِجِ الجَاهِلِيِّ إِلَى النَّمُودِجِ الإِسْلَامِيِّ؛ بِكُلِّ مَا

يَحْمِلُهُ النَّمُوذَجُ الجَدِيدُ مِنْ تَعْيِيرٍ فِي القِيمِ، والعاداتِ، والتقاليدِ، والأعرافِ، والأسُسِ الاجتماعيةِ والمعيشيةِ؛ حياةً جديدةً كَلِيَّةً تَمَّتْ صِيَاغَتُهَا، وَتَمَّ اسْتِخْدَامُ اللُّغَةِ وَسِيْلَةً لِفِعْلِ ذَلِكَ التَّغْيِيرِ.

"لَقَدْ عَمِلَ الخِطَابُ القُرْآنِيُّ عَلَى تَحْدِيدِ وَتَصْنِيفِ كُلِّ الجَمَاعَاتِ الَّتِي اِحْتَكَّتْ بِهَا المَسِيرَةَ النَّبَوِيَّةَ، وَحَدَّدَ مِنْهَا مَوْقِفًا وَمَنْحَهَا مَوْقِعًا دَاخَلَ التَّشْكِيْلَةَ الاجتماعيةِ والعَقَائِدِيَّةَ الجَدِيدَةَ. فِ "المِخْلَفُونَ" وَ"المِنَافِقُونَ" وَ"المُؤْمِنُونَ" وَ"أَهْلُ الكِتَابِ" بِيَهُودِيَّيْهِمْ وَنَصْرَانِيَّيْهِمْ، وَالمِهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ، وَالكُفَّارُ وَالمِشْرِكُونَ، وَالأَحْزَابُ... الخِ جَمَاعَاتٌ وَفِرْقٌ جَعَلَهَا القُرْآنُ تَتَحَرَّكَ دَاخَلَ مَسْرَحِ الأَحْدَاثِ الِذِي بَنَاهُ الإِسْلَامُ ضِمْنَ التَّصَوُّرِ الكُلِّيِّ الِذِي صَاغَهُ لِالأَخْرِ" (90).

"الإِنْسَانُ يَحْيَا بِالْعَلَامَاتِ وَالرُّمُوزِ الَّتِي تَتَجَمَّعُ بِشَكْلِ أَوْ بآخَرَ وَتَنْتَظِمُ فِي شَكْلِ أَنْسَاقٍ وَأَنْمَاطٍ تُسَمَّى أحياناً بِالدينِ أَوْ السِّيَاسَةِ أَوْ الأَدَبِ أَوْ الإِقْتِصَادِ السِّيَاسِيِّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ وَكُلُّهَا تَعْتَمِدُ فِي آخِرِ الأَمْرِ عَلَى اللُّغَةِ الَّتِي هِيَ نَسَقُ الإِشَارَاتِ الأَسَاسِيِّ" (91)، "فَالأَشْيَاءُ الَّتِي تُحِيطُ بِهَا لَيْسَتْ مُجَرَّدَ أَشْيَاءٍ أَوْ أَحْدَاثٍ مَادِيَّةٍ مَحْسُوسَةٍ وَمَلْمُوسَةٍ وَلا تَقُومُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا أَيُّ عَلاَقَةٍ أَوْ رَابِطَةٍ. وَإِنَّمَا هِيَ مَوْضُوعَاتٍ وَأَحْدَاثٍ لَهَا مَعْنَى مُحَدَّدٌ" (92).

"إِنَّ اللُّغَةَ فِي جَوْهَرِهَا مُتَأَصِّلَةٌ فِي حَقِيقَةِ الثَّقَافَةِ وَنُظْمِ الحَيَاةِ وَالعَادَاتِ عِنْدَ كُلِّ جَمَاعَةٍ، وَلا يُمَكِّنُ إِضَاحُ اللُّغَةِ إِلاَّ بِالرَّجُوعِ الدَّائِمِ إِلى المَحِيطِ الأَوْسَعِ، وَهُوَ الظُّرُوفُ الَّتِي يَتِمُّ فِيهَا النُّطْقُ" (93).

السِّيَاقُ الشُّمُولِيُّ مُنْقَسِمٌ وَمُتَعَدِّدٌ (94)، يَحْوِي أَنْسَاقًا (95) مُتْجَاوِرَةً، وَهَذِهِ الأَنْسَاقُ عِنْدَ النَّظَرِ إِليهَا خَارِجَ سِيَاقِهَا الكُلِّيِّ؛ تُؤَلَّفُ سِيَاقًا قَائِمًا بِذَاتِهِ، كَمَا أَنَّهُ يَنْفَرِعُ إِلى أَنْسَاقٍ مُتْجَاوِرَةٍ فِي دَاخِلِهِ، فَالْعَمَلِيَّةُ تَأْخُذُ طَابِعًا تَصْنِيفِيًّا، وَهِيَ الَّتِي تُعْطِي انْطِبَاعًا بِوُجُودِ نِظَامٍ؛ مُتَّسِقِ الأَجْزَاءِ وَالكِيانَاتِ؛ فَالْكُلِّيَّاتُ تَنْفَرِعُ إِلى أَجْزَاءٍ، وَالأَجْزَاءُ تَنْقَسِمُ إِلى أَجْزَاءٍ أَصْغَرَ (96)، وَهَكَذَا، إِلى أَنْ نَصِلَ إِلى الوَحْدَةِ الصُّغْرَى؛ الَّتِي اِخْتَلَفَ فِي تَحْدِيدِهَا؛ هَلْ هِيَ الجُمْلَةُ (97) أَمْ الكَلِمَةُ أَمْ "كُلُّ مَا يَقُومُ بِدَوْرِ العَلَامَةِ أَوْ الرَّمْزِ سِوَاءِ أَكَانَ لُغَوِيًّا أَمْ غَيْرَ لُغَوِيًّا" (98)؟

إِنَّ النَّظَامَ مُتَشَابِكُ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ وَحَدَاتِهِ (99)، وَالتَّفَاعُلُ سِمَةٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْوَحَدَاتِ، فَالْأَنْظُمَةُ، أَوْ الْأَنْسَاقُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ تَتَفَاعَلُ فِي مَا بَيْنَهَا، وَكَذَلِكَ تَتَفَاعَلُ مَعَ أَنْسَاقٍ مُتَجَاوِرَةٍ (100)؛ كَنَسَقِ اللُّغَةِ.

دِرَاسَةٌ نَسَقِيَّةٌ مَا تُتِيحُ لَنَا إِكْتِشَافَ عِلَاقَاتِهَا بِالْأَنْسَاقِ الْآخَرَى، فَنَسَقِيَّةٌ كَنَسَقِ "الْمَوْضِعِ" (101) يَتَعَالَقُ مَعَ حَيَاةِ الْأَفْرَادِ، فَيُمْكِنُ دِرَاسَتُهُ اجْتِمَاعِيًّا، كَمَا يَتَعَالَقُ مَعَ الْمَخْزُونِ التَّارِيخِيِّ الْمَوْرُوثِ حَوْلَ الْجَمَالِ، فَيُمْكِنُ دِرَاسَتُهُ مِنْ مَنَظُورِ جَمَالِيٍّ، أَوْ تَارِيخِيٍّ.

لِلُّغَةِ أَيْضًا نَصِيبٌ مِنَ الْإِرْتِبَاطِ بِالْمَوْضِعِ، حَيْثُ الْكَلِمَاتُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِيهِ تَخْتَلِفُ عَنِ الْكَلِمَاتِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي نَسَقِ آخَرَ؛ كَنَسَقِ "الْجِنَازَةِ"، فَيَتَحَوَّلُ الْبَحْثُ لُغَوِيًّا دِلَالِيًّا، أَوْ رَمْزِيًّا بِاعْتِبَارِهِ عِلَامَةً (102) مِنَ الْعِلَامَاتِ.

كَذَلِكَ عِلْمُ النَّفْسِ يَهْتَمُّ بِالْمَوْضِعِ وَتَأْثِيرَاتِهَا النَّفْسِيَّةِ عَلَى الْفَرْدِ، كَمَا يُمَكِّنُ دِرَاسَةَ نَسَقِ الْمَوْضِعِ دِرَاسَةً مُقَارِنَةً بَيْنَ الشُّعُوبِ؛ إِذْ لِكُلِّ شَعْبٍ نَظَرَةٌ مُخْتَلِفَةٌ إِلَى مَقَائِسِ الْجَمَالِ.

هَذِهِ بَعْضُ إِرْتِبَاطَاتِ نَسَقِ الْمَوْضِعِ، وَهِيَ كَاشِفَةٌ عَنِ تَفَاعُلِ كَبِيرٍ بَيْنَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَنْسَاقِ الْمُتَجَاوِرَةِ، الَّتِي تَعْمَلُ عَلَى تَشْكِيلِ سِيَاقٍ كُلِّيٍّ؛ هُوَ سِيَاقُ الثَّقَافَةِ (103).

تَرْتَبُطُ الرُّمُوزُ بِالسِّيَاقِ الثَّقَافِيِّ، وَتَخْتَلِفُ دَرَجَةُ تَأْثِيرِهَا بِمَدَى إِرْتِبَاطِ الْإِنْسَانِ بِهَا، وَلَعَلَّ أَقْوَى الرُّمُوزِ تَأْثِيرًا تِلْكَ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالدِّينِ؛ حَيْثُ تَحْتَلُّ أَمِّيةً كُبْرَى فِي حَيَاتِهِ، وَأَيُّ إِعْتِدَائٍ عَلَيْهَا، إِنَّمَا هُوَ إِعْتِدَائٌ، بِشَكْلِ غَيْرِ مُبَاشِرٍ عَلَيْهِ.

تَنَوَّعُ الرُّمُوزُ الدِّينِيَّةُ، وَتَأْخُذُ صُورًا مُتَعَدِّدَةً، فَمِنَ الْإِنْسَانِ إِلَى الْكِتَابِ (104)، وَالْمَسْجِدِ، فَالْهَلَالِ (105)؛ الَّذِي صَارَ شِعَارًا إِسْلَامِيًّا، إِلَى الْقَوْلِ الْمُنْقُولِ الْمُتَوَارِثِ مِنْ صَحِيحِ الْحَدِيثِ (106)، بَلْ حَتَّى ضَعِيفِهِ (107) يَحْتَلُّ أَمِّيةً عَظِيمَةً لَا يَجُوزُ الْمَسَاسُ بِقُدْسِيَّتِهِ.

الثَّقَافَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ قَامَتْ عَلَى أُسَاسِ التَّقْدِيسِ لِكُلِّ مَا يَتَّصِلُ بِالدِّينِ (108)، وَلِذَا نَجَدُ مَظَاهِرَ الْإِحْتِفَاءِ أَيْنَمَا وُجِدَ مَا يُمَثِّلُ الدِّينَ.

أيضاً، تُوجدُ رُموزُ ذاتُ تأثيرٍ قوِيٍّ رُغمَ عَدمِ إمتلاكِها رَصيداً دِينياً، مِثلُ "النُّقودِ" (109) التي تُعتبرُ "تجريداتٍ بِالغَةِ القوَّةِ" (110)؛ لِإمتلاكِها تأثيراً مُباشِراً، ومَلموساً في حَيَاةِ الأَفرادِ، حَيْثُ "تَحكُمُ حَيواتِنَا عن طَرِيقِ الذِينِ يُسيئونَ إِستعمالِها، أَيِ الذِينِ يَبرعونَ في إِستعمالِها إِستعمالاتٍ مُضَلِّلَةٍ" (111).

الحديثُ عن الأَنساقِ؛ كَنسَقِ الموضَعةِ، أو عن الرُّموزِ؛ كَالنُّقودِ، هو حَدِيثٌ عن "مُرَكِّباتِ ثَقافِيَّةِ" (112) تُمارِسُ حَيواتِنَا من خِلالِها وبِها وَفِيها وَعَبرِها؛ إِنَّها كُُلُّ الأَشياءِ التي تُحيطُ بنا، كما أَنَّها كُُلُّ الأَشياءِ المَوجودَةِ في أَذهانِنا، فَالِكَيانُ الثَّقافيُّ شُموليٌّ سُلطويٌّ.

تَعملُ اللُغَةُ على إِختزالِ الأَنساقِ في عَلاماتٍ مُمثِّلِها، تَتخَذُ شَكلاً رَمزياً، يُشيرُ إلى النَّسَقِ وبِهِ يَتِمُّ التَّداولُ بَينَ الأَفرادِ، فَالإِسلامُ (113) مُفردَةٌ لَفظيَّةٌ إِختزلتِ الرِّسالةَ النَّبويَّةَ بِأَجْمَعِها، والمَوضَعةُ إِختزلتِ المَعاييرَ الجَماليَّةَ لِلمَجمَعِ، وَالنُّقودُ إِختزلتِ السُّلطةَ في دَاخلِها.

كُُلُّ "المُرَكِّباتِ الثَّقافيَّةِ" التي إِختزلتها اللُغَةُ، صَارَ لها وُجودٌ مُجمَعِيٌّ؛ لِأَنَّ اللُغَةَ لا تَنفصلُ عن المَجمَعِ، بَلِ إِنَّ المَجمَعِ بِذاتِهِ يَتحوَّلُ إلى "مُرَكِّبِ ثَقافيِّ" بَعَدَ مُرورِ أَعوامٍ طَويلَةٍ؛ طَويلَةٍ جَداً.

بَعَدَ تَحويلِ الأَنساقِ، وَالرُّموزِ إلى مُرَكِّباتِ ثَقافيَّةِ، بِواسِطَةِ اللُغَةِ؛ إِذْ تَعملُ على تَدوينِ "الثَّراثِ الثَّقافيِّ"، وَتَحفظُ بِهِ جِيالاً بَعَدَ جِيلٍ" (114)، تَبدأُ مَرحَلَةٌ جَدِيدَةٌ؛ هِيَ عَمليَّةُ الإِنْتاجِ؛ إِنتاجِ دِلالةٍ تَتلاءمُ مَعَ حَيَاةِ الأَفرادِ المُتعامِلينَ بِاللُغَةِ؛ حَيْثُ تُمارِسُ سُلطَنتِها في إِعطاءِهم التَّمَطَّ المَرجوبَ.

يَتحوَّلُ "المُرَكِّبُ الثَّقافيُّ" بَعَدَ إِختزالِهِ إلى "مُنتَجِ ثَقافيِّ"، تَمَدُّ اللُغَةُ أَذرعَها حَولَهُ، حَيْثُ تُحتويهِ؛ لِكونِهِ "قِيميَّةً" لُغويَّةً في الأَساسِ، ثُمَّ إِجتماعيَّةً بَعَدَ ذَلِكَ.

أَبرزُ، بَلِ أَضحَمُ "مُنتَجِ ثَقافيِّ" عَرَبِيٌّ؛ هو الإِسلامُ؛ لِأَنَّهُ إِختزلَ ثُراثَ، وَفَكَرَ الأُمَّةِ الإِسلاميَّةِ، التي هي في الأَساسِ خَلِيطٌ شَعيِّ، وَأُمِّيٌّ مُختَلِفٌ (115).

لَمْ تَعُدْ لِلْقَبِيلَةِ فِي الْمُنْتَجِ الْإِسْلَامِيِّ أَهْمِيَّةٌ مِثْلَمَا كَانَتْ فِي الْمَرْكَبِ الْجَاهِلِيِّ؛ إِذْ كَانَتْ قِيَمَةُ الْقَبِيلَةِ آنَذَاكَ عَالِيَةً جَدًّا، بَلْ رُبَّمَا كَانَتْ الْأَعْلَى قِيَمَةً، بَيْنَمَا فِي الْإِسْلَامِ اِحْتَفَظَتْ بِبَعْضِ قِيَمَتِهَا (116)؛ لَمْ تَغِبْ تَمَامًا عَنِ الْمَشْهَدِ الثَّقَافِيِّ، لَكِنهَا أَيْضًا، لَمْ تَعُدْ بِذَاكَ التَّأثيرِ.

الْإِسْلَامُ فِي بَدْءِ أَمْرِهِ كَانَ نَسْقًا نَشَازًا فِي السِّيَاقِ اللُّغَوِيِّ الثَّقَافِيِّ الْعَرَبِيِّ؛ فَالسِّيَاقُ الْجَاهِلِيُّ يَتَمَيَّزُ بِالطَّبَقِيَّةِ، وَتَقْسِيمِ الْأَفْرَادِ إِلَى سَادَةٍ وَعَبِيدٍ (117)، كَمَا وُجِدَتْ حَسَاسِيَّةٌ شَدِيدَةٌ تَجَاهَ الْأَجْنَاسِ الْبَشَرِيَّةِ الْمُنْتَمِيَّةِ إِلَى سِيَاقَاتٍ أُخْرَى؛ مُخَالِفَةً؛ لَا تَنْتَمِي إِلَى السِّيَاقِ اللُّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ.

الطَّبَقِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ لَزِمَتْهَا، وَسَاوَفَتْهَا طَبَقِيَّةُ لُغَوِيَّةٌ، فَأَلْفَاظُ السَّادَةِ تَخْتَلِفُ عَنِ أَلْفَاظِ الْعَبِيدِ، وَسُلُوكِيَّاتُ السَّادَةِ مُعَايِرَةٌ لِسُلُوكِيَّاتِ الْعَبِيدِ.

إِنَّ التَّفَاوُتَ بَيْنَ طَبَقَاتِ الْمَجْتَمَعِ كَثِيرًا مَا يُؤَدِّي إِلَى "نُشُوءِ لُغَاتٍ سَرِيَّةٍ عَامِيَّةٍ، هِيَ بِنُوعٍ خَاصٍّ لُغَةُ الْأَشْقِيَاءِ وَالخَارِجِينَ عَلَى الْقَانُونِ مِمَّنْ يَعِيشُونَ فِي خَوْفٍ دَائِمٍ مِنْ سَطْوَتِهِ، لِأَنَّهُمْ يَحْيُونَ حَيَاةً عَلَى هَامِشِ الْمَجْتَمَعِ" (118).

هَذِهِ الطَّبَقِيَّةُ بَذْرَةٌ أُولَى فِي طَرِيقِ بِنَاءِ النَّسْقِ الْجَدِيدِ، فَالْمُؤَكَّدُ "أَنَّ التَّغْيِيرَ الْاجْتِمَاعِيَّ فِي بِيئَةٍ مِنَ الْبِيئَاتِ يَتَّبَعُهُ تَغْيِيرٌ فِي شَيْءٍ مِنَ اللُّغَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي تِلْكَ الْبِيئَةِ" (119).

مِنْ أَسْبَابِ تَغْيِيرِ الْمَعْنَى "التَّطَوُّرُ الْاجْتِمَاعِيُّ وَالثَّقَافِيُّ" (120)، الَّذِي "قَدْ يَكُونُ فِي شَكْلِ اِتِّفَاقِ مَجْمُوعَةٍ فَرَعِيَّةٍ ذَاتِ ثِقَافَةٍ مُخْتَلِفَةٍ عَلَى إِسْتِخْدَامِ أَلْفَاظٍ مُعَيَّنَةٍ فِي دِلَالَاتٍ تُحَدِّدُهَا تَتَمَاشَى مَعَ الْأَشْيَاءِ وَالتَّجَارِبِ وَالْمَفَاهِيمِ الْمَلَائِمَةِ لِمَهْنِهَا أَوْ ثِقَافَتِهَا، وَقَدْ يُؤَدِّي هَذَا إِلَى نُشُوءِ لُغَةٍ خَاصَّةٍ" (121).

"إِنَّهُ لَمِنْ مَعْرُوفٍ أَنَّ الثَّقَافَةَ الرَّسْمِيَّةَ السَّائِدَةَ تَتَوَاطَأُ مَعَ السُّلْطَةِ، وَتُسْتَعْمَلُ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْأَخِيرَةِ فِي تَسْوِيعِ أَعْمَالِهَا فِيمَا تُطَوَّرُ الثَّقَافَاتُ الْمَحَلِّيَّةُ أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً مِنَ الرَّفْضِ وَعَدَمِ الْقَبُولِ" (122).

السِّيَاقُ التَّقَايُ السَّائِدُ الْآنَ هُوَ السِّيَاقُ الْإِسْلَامِيُّ الْمَتَّفَاعِلُ مَعَ السُّلْطَةِ (123)؛ حَيْثُ يَسِيرَانِ جَنباً إِلَى جَنْبٍ، وَلَا يُمَكِّنُ الْفَصْلُ بَيْنَهُمَا، تَعْمَلُ السُّلْطَةُ عَلَى التَّنْظِيمِ الْمُؤَسَّسِيِّ لِحَيَاةِ النَّاسِ، بِتَسْوِيعٍ مِنَ السِّيَاقِ الْإِسْلَامِيِّ.

إِنَّ مَشْرُوعِيَّةَ النِّظَامِ الْمُؤَسَّسِيِّ مُعْتَمِدَةٌ فِي بَقَائِهَا، وَاسْتِمْرَارِهَا عَلَى إِرْتِبَاطِهَا بِالسِّيَاقِ الْإِسْلَامِيِّ (124)، وَالْفَصْلُ بَيْنَهُمَا؛ يُؤَدِّي إِلَى سُقُوطِ مَشْرُوعِيَّةِ الْمُؤَسَّسَةِ، لِذَا نَجِدُ الْمُؤَسَّسَةَ "الدِّينِيَّةَ" تُحَارِبُ أَيَّ سِيَاقٍ وَافِدٍ؛ جَدِيدٍ (125)؛ مَهْمَا كَانَ هَذَا الْوَافِدُ، وَفِي حَالِ عَجْزِهَا عَنِ مُوَاجَهَتِهِ، تَبْدَأُ فِي إِطْلَاقِ أَلْفَاظٍ "شَّرْعِيَّةٍ" عَلَيْهِ؛ مِنْ قَبِيلِ "الشَّرِّ، وَالْحَطِيئَةِ، وَالْإِثْمِ" (126)؛ لِنَزْعِ الْمَشْرُوعِيَّةِ عَنْهُ (127)، أَوْ تَمْهِيداً لِإِدْخَالِهِ ضِمْنَ السِّيَاقِ "الدِّينِيِّ"، وَإِكْسَابِهِ مَشْرُوعِيَّةً مَحْدُودَةً، وَمَشْرُوعَةً؛ كُلُّ ذَلِكَ، مِنْ أَجْلِ اسْتِمْرَارِ النِّظَامِ، وَاسْتِقْرَارِهِ.

الفصل الثالث

اللغة / خِطَابٌ

بَعْدَ التَّأْسِيسِ لِلنِّظَامِ الثَّقَافِيِّ، وَاعْتِبَارِ اللُّغَةِ نَسْقًا مِنْ أُنْسَاقِهِ المِتَفَرِّعَةِ، وَلَعَلَّهُ أَهْمُ نَسْقٍ ثَقَافِيٍّ؛ لِاحْتِلَالِهِ أَهْمِيَّةً قُصْوَى فِي بِنَاءِ حَيَاةِ المِجْتَمَعَاتِ، وَوَسِيلَةً أُسَاسِيَّةً مِنْ وَسَائِلِ الاتِّصَالِ بَيْنَ أَفْرَادِ الجَمَاعَةِ الإِنْسَانِيَّةِ.

نَصلُ إِلَى تَأْسِيسِ مَنْطُوقِ الثَّقَافَةِ، وَبِخَاصَّةِ اللُّغَوِيَّةِ مِنْهَا؛ حَيْثُ هِيَ النِّسْقُ الأَهْمُ، مِنْ بَيْنِ الأنْظِمَةِ الاتِّصَالِيَّةِ، وَالتَّوَاصِلِيَّةِ (128) البَشَرِيَّةِ (129).

مَا "الْحِطَابُ"، وَكَيْفَ تَمَّ تَأْسِيسُهُ؟ وَكَيْفَ يَسِيرُ فِي تَوْجِيهِ اللُّغَةِ، وَالثَّقَافَةِ؟ ثُمَّ مَا عَلاَقَتُهُ بِالأنْظِمَةِ غَيْرِ اللُّغَوِيَّةِ؟

هَذِهِ بَعْضُ الأَسْئَلَةِ الدَّائِرَةِ حَوْلَ الحِطَابِ، سَيَتَمُّ الإِجَابَةُ عَلَيهَا، وَعَلَى غَيْرِهَا أَثْنَاءَ تَنَاوُلِنَا إِيَّاهَا بِالحَدِيثِ. الحِطَابُ (130) هُوَ "نَسْقُ إِمكَانِ الوُصُولِ إِلَى المَعْرِفَةِ" (131)، فَهُوَ يَشْمَلُ "كُلَّ أَشْكَالِ الحَيَاةِ الثَّقَافِيَّةِ وَقِطَاعَاتِهَا" (132)؛ حَيْثُ تَتَعَدَّدُ الحِطَابَاتُ، وَتَتَنَوَّعُ؛ مِثْلَ "الحِطَابِ السِّيَاسِيِّ أَوِ الأَدَبِيِّ أَوِ الدِّيْنِيِّ أَوِ الإِعْلَامِيِّ" (133)، وَغَيْرِهَا، فَكُلُّ أَنْوَاعِ الحِطَابِ تَنْضَوِي فِي السِّيَاقِ الشُّمُولِيِّ، أَوِ الحِطَابِ الأَسَاسِيِّ؛ حِطَابِ الثَّقَافَةِ.

جَمِيعُ الأُنْسَاقِ الثَّقَافِيَّةِ تَهْدَفُ إِلَى إِيْصَالِ رِسَالَةٍ مَا، وَلِكِي تَقُومَ بِعَمَلِهَا لَا بُدَّ مِنْ تَوْفُرِ عُضْرَيْنِ؛ هُمَا: المُرْسَلُ وَالمُسْتَقْبَلُ (134)، فَالحِطَابُ هُوَ الرِّسَالَةُ (135) المُرَادُ إِيْصَالُهَا (136).

لَا تَتَحَقَّقُ عَنَاصِرُ الرِّسَالَةِ إِلَّا فِي مُجْتَمَعٍ حَيٍّ؛ يَتَفَاعَلُ أَفْرَادُهُ فِي مَا بَيْنَهُمْ، كَمَا أَنَّهَا لَا تَخْتَصُّ بِالكَائِنِ البَشَرِيِّ وَحَدَهُ، بَلْ هِيَ شَيْءٌ طَبِيعِيٌّ تُمَارِسُهُ بَقِيَّةُ الكَائِنَاتِ بِعَفْوِيَّةٍ، وَتَلْقَائِيَّةٍ (137).

لُغَةُ الطَّيْرِ تَخْتَلِفُ عَنِ لُغَةِ النَّمْلِ، وَكَذَلِكَ تَخْتَلِفُ اللُّغَتَانِ عَنِ لُغَةِ بَقِيَّةِ الكَائِنَاتِ، حَتَّى الكَائِنَاتِ الَّتِي لَا قُدْرَةَ لَدَيْهَا عَلَى النُّطْقِ، أَوْ تُوَاجِهُ صُعُوبَةً فِيهِ، فَإِنَّ "الحَرَكَاتِ الجِسْمِيَّةِ قَدْ تَحَلُّ مَحَلَّ الكَلَامِ أَوْ أَنْ تَكُونَ مُتَمِّمًا فَاعِلًا لَهُ فِي تَأْكِيدِ الكَلَامِ أَوْ زِيَادَتِهِ وَوُضُوحًا" (138).

اللغة ذات وظيفة إبلاغية؛ تهدف إلى إيصال فكرة ما، ونقلها من طرف المخاطب إلى ناحية المخاطب، عملية نقل الفكرة تحتاج إلى مرجعية ثقافية مُتَّفَق عليها بين أطراف العملية اللغوية، وهم؛ أهل اللغة الواحدة (139).

الإبلاغ وظيفة لغوية، وبالمثل؛ هي وظيفة من وظائف الخطاب (140)، لكن الخطاب لا يقتصر على الوظيفة الإبلاغية، بل يُمارس عمله في بنية أعمق، فالمضمون، أو دلالة الكلام، أو المقصود منه يصل بعده طُرُق؛ من بينها اللغة (141).

أيضاً، الخطاب ليس دلالة الكلمات، أو الجمل، أو النص، بل هو يتجاوز هذه الآليات إلى ما هو أعمق منها، لكنه يعتبرها جزءاً أساسياً يعتمد عليه (142)؛ لبناء هدفه الكلي؛ المنصب على تأسيس منطوق الثقافة الحالية لجماعة لغوية تتخذ لغةً مشتركة تتعامل بها.

في المجتمع الواحد قد تتعدّد الخطابات، بل ربما تصارعت في ما بينها، خاصة تلك الفئات المحرومة من ممارسة حقّها في الخطاب؛ حيث ينشأ صراع (143) "بين الجماعات أو الفئات التي تدعي لنفسها حقّ الخطاب وتلك التي كانت محرومة من ممارسة ذلك الحقّ أي التي تُحرّم من حقّ خطابها هي ذاتها" (144).

الفئات المحرومة، غالباً ما تُؤسّس نسقها الخاص بها، مع تأسيس النسق يتأسّس الخطاب (145)، إذ يأتي في صورة مناوئة لخطاب السياق الذي تفرع عنه، وربما تجاوزت الفئتان جغرافياً، لكن خطابهما يبقى مختلفاً، بل متعارضاً، ما لم يحدث تقارب بينهما.

اختلاف الأنساق يؤدي للصراع؛ الذي يتخذ أشكالاً متنوعة، قد يمتدّ الصراع زمناً، تصل الحدة فيه إلى سفك الدماء (وهو أخطر ما في النسقية) (146) ، إلى أن يصل الصراع مرحلته الأخيرة بانتصار نسق على آخر، وضّبه إليه، أو إقصائه.

لَيْسَتْ نِهَائِيَةُ النَّسَقِ بِهَزِيمَتِهِ، بَلْ يَظَلُّ كَامِنًا، يَتَحَيَّنُ الْفُرْصَ لِلانْقِضَاضِ عَلَى النَّسَقِ الْمُنْتَصِرِ "حَتَّى لَيْكُونَ أَقْوَى مِنْ ذِي قَبْلِ وَكَأَنَّهُ يَنْتَقِمُ لِمَا فَاتَهُ مِنْ مَفْعُولِيَةٍ فِي نَفُوسِ الْبَشَرِ" (147).

"وَلَوْ أَخَذْنَا بِالْأَمْثَلَةِ التَّارِيخِيَةِ حَوْلَ صِرَاعِ الْإِسْلَامِ مَعَ الْقَبِيلَةِ وَكَوْنِهِ صِرَاعًا مَصِيرِيًّا لَوَجَدْنَا مَسْأَلَةَ الْخِلَافَةِ حِينَما تَحَوَّلَتْ إِلَى دِمَشْقَ هُوَ الْمَثَلُ الْأَكْثَرُ نُصُوعًا حَيْثُ تَلَبَّسَتْ الْخِلَافَةُ بِثُوبِ الْإِسْلَامِ وَلَكِنَّ الْجَسَدَ الَّذِي ظَلَّ يَعْمَلُ مِنْ تَحْتِ الثُّوبِ كَانَ قَبَائِلِيًّا" (148).

الْإِسْلَامُ "الْمُنْتَجِ الثَّقَافِي" الْعَرَبِيُّ، أَوْ النَّسَقُ (149) النَّاشِئُ فِي الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فِي صِرَاعٍ مَرِيرٍ مَعَ "النَّسَقِ" الْقَبِيلَةِ، اسْتَمَرَ الصِّرَاعُ زَمَنًا، ثُمَّ انْتَهَى بِانضِمَامِ "النَّسَقِ" الْقَبِيلَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ "الْمُنْتَجِ الثَّقَافِي" الْعَرَبِيِّ، وَاعْتِبَارِهِ مُفْرَدَةً، وَقِيَمَةً مِنْ مُفْرَدَاتٍ، وَقِيَمِ "الْمَرْكَبِ الثَّقَافِي" الْإِسْلَامِيِّ.

انْتَصَارُ النَّسَقِ عَلَى النَّسَقِ؛ الْإِسْلَامِ عَلَى الْقَبِيلَةِ، مَهَّدَ الطَّرِيقَ أَمَامَ النَّسَقِ الْمَهْزُومِ لِيَنْضَوِيَ دَاخِلَ النَّسَقِ الْمُنْتَصِرِ، لَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَعْزِمْ انْتِهَاءَ النَّسَقِ الْمَهْزُومِ، بَلْ اسْتَمَرَ خِطَابُهُ فِي الْحَيَاةِ، وَعِنْدَمَا وَجَدَ الْفُرْصَةَ سَانِحَةً أَمَامَهُ، انْقَضَ عَلَى النَّسَقِ الْمُنْتَصِرِ، وَأَثَّرَ فِيهِ تَأْثِيرًا بَلِيغًا، وَكَأَنَّهُ يَنْتَقِمُ مِنْهُ شَرًّا انْتِقَامًا.

النَّسَقَانِ يَنْتَمِيَانِ إِلَى السِّيَاقِ الْعَرَبِيِّ آنَذَاكَ، يَمْتَلِكُ كُلُّ نَسَقٍ خِطَابًا مُسْتَقْلًا عَنِ النَّسَقِ الْآخَرِ، يَبْدَأُ التَّعَارُضُ بَيْنَهُمَا نَتِيجَةً تَوَاجُدِهِمَا فِي بِيئَةٍ جُغْرَافِيَّةٍ وَلُغَوِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، فَيَحْدُثُ الصِّرَاعُ؛ صِرَاعُ الْأَنْسَاقِ الْمُتَعَارِضَةِ؛ الَّذِي يَنْتَهِي بِانْتِصَارِ أَحَدِهِمَا، وَانْهَزَامِ الْآخَرِ، لَكِنَّ هَزِيمَةَ النَّسَقِ لَا تَعْنِي هَزِيمَةَ خِطَابِهِ؛ إِذْ لَهُ أَنْصَارٌ، وَمُؤَيِّدُونَ لَا يَزَالُونَ يَتَّبِعُونَ تَعَالِيْمَهُ، وَشَرَائِعَهُ، وَهَذَا مَا أَدَّى إِلَى بُرُوزِهِ حِينَما صَارَتْ الْفُرْصَةُ مُؤَاتِيَةً.

الْخِطَابُ عَمَلٌ مُسْتَمَرٌّ، لَا يَتَوَقَّفُ لِحِظَةٍ وَاحِدَةٍ، طَالَمَا بَقِيَ أَفْرَادٌ مُنْتَمُونَ إِلَى النَّسَقِ، وَمُخْلِصُونَ لَهُ، فَالْخِطَابُ يُوَلَّدُ مَعَ مِيلَادِ النَّسَقِ، وَرُبَّمَا تَأَخَّرَ قَلِيلًا فِي الْبُرُوزِ؛ طَالَمَا لَا عَوَائِقَ أَمَامَهُ، وَمَعَ أَوَّلِ إِحْتِكَالٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَسَقٍ آخَرَ، يَبْدُو صُورَتُهُ الْخَافِتُ الضَّعِيفُ؛ غَيْرُ الْمَسْمُوعِ، قَوِيًّا؛ بَلْ قَوِيًّا جَدًّا، وَشَرِسًا، يُدَافِعُ عَنِ نَسَقِهِ (150) عَبْرَ الْوَسَائِلِ الْمُتَاحَةِ، أَوْ يَخْتَرِعُ وَسَائِلَ جَدِيدَةً، إِذَا دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَى ذَلِكَ.

لا يُمكنُ تفسِيرُ الصِّراعِ الشَّرْسِ بَيْنَ الأَنساقِ إِلَّا بِفَهْمِ الأساسِ الذي قَامَتْ عَلَيهِ، وَأَسَاسُ الصِّراعِ يَدورُ حَوْلَ "الهَوِيَّةِ"، حَيْثُ "هي عَلامَةٌ من عَلاماتِ النَّسِقِ الثَّقائِي" (151)، فَعِيبُ "الهَوِيَّةِ" غِيبٌ تَامٌ، وَمَحْوٌ لِلنَّسِقِ من الوجودِ.

عَلَى هَذَا الأساسِ "الهَوِيَّةِ" يَنبني خِطابُ النَّسِقِ الدِّفاعِي، فَكُلُّما إِزْدادَ الضَّغْطُ على النَّسِقِ؛ لِمَحْوِهِ، إِزْدادتْ شِراسِئُهُ في الدِّفاعِ.

يَقومُ خِطابُ النَّسِقِ بِعَمَلينِ مُهمينِ؛ الأَوَّلُ: إبرازُ "الهَوِيَّةِ" وتَأكِيدُها، وإِكسابُها المِشروعِيَّةَ اللازِمَةَ، والثَّانِي: الدِّفاعُ عَن "الهَوِيَّةِ" بِشَتَّى الطَّرِيقِ والوَسائِلِ.

الثَّقافةُ العَرَبِيَّةُ إِحتوتُ "ثَلَاثَةَ أَنساقٍ مُتقاطِعَةٍ هي:

1- نَسقُ الفَضائِلِ الدِّينِيَّةِ.

2- نَسقُ الفَضائِلِ القَبِيلِيَّةِ الثَّقائِيَّةِ.

3- نَسقُ مُتَشَعَّرِنُ (قَبائِلِي) " (152).

إِذا كانَ النَّسِقُ الأَوَّلُ دِينِيًّا، يَسْتَمِدُّ غِطاءَهُ الخِطابِيَّ من الإسلامِ، فَإِنَّ النَّسِقَ الثَّانِيَّ قَبِيلِيًّا، إِسْتَمَدَّ خِطابَهُ من الثَّقافةِ العَرَبِيَّةِ، فَتَقاطَعَ مع النَّسِقِ الأَوَّلِ؛ الدِّينِيَّ (153)، ودَعَمَهُ؛ لِكونِهِما يَحْمِلانِ هَمًّا مُشترَكًا؛ هُمُّ الفَرْدِ العَرَبِيِّ.

النَّسِقُ الثَّالِثُ؛ القَبائِلِيُّ، وُلِدَ من رَحِمِ القَبِيلَةِ، واتَّخَذَ لِنَفْسِهِ خِطاباً مُضاداً لِلنَّسِقِ الثَّانِي؛ نَسِقِ الفَضائِلِ القَبِيلِيَّةِ الثَّقائِيَّةِ، بَلْ عَمِلَ على مُعارِضَتِهِ، والانتِقاَصِ مِنْهُ.

رُغِمَ أَنَّ النَّسْقَيْنِ؛ الثَّانِي والثَّالِثَ، وُلِدَا مِنْ رَحِمِ الْقَبِيلَةِ نَفْسِهَا، إِلَّا أَنَّهُمَا اخْتَذَا طَرِيقَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ فِي اسْتِلْهَامِ الثَّرَاثِ الثَّقَافِيِّ السَّائِدِ، فَحِينَ اخْتَذَ النَّسْقُ الثَّانِي لِنَفْسِهِ خِطَابَ الْفَضَائِلِ، عَارِضَهُ النَّسْقُ الثَّلَاثُ مُتَّخِذاً لِنَفْسِهِ خِطَابَ الرِّذَائِلِ.

إِنْحَرَفَ خِطَابُ النَّسْقِ الْقَبَائِلِيِّ وَاجْهَهُ خِطَابٌ دِينِيٌّ، وَخِطَابٌ قَبْلِيٌّ، فَحَدَثَ الصِّرَاعُ بَيْنَ الْأَنْسَاقِ وَخِطَابَاتِهَا، إِنَّهِيَ الصِّرَاعُ هَزِيمَةُ النَّسْقِ الْقَبَائِلِيِّ، وَبَقَاءُ خِطَابِهِ كَامِناً.

كُمُونُ الْخِطَابِ لَا يَعْنِي انْتِهَاءَهُ، بَلْ تَأْجِيلٌ لِلْمُوَاجَهَةِ؛ حَيْثُ يَبْقَى مُنْتَظِراً لِلْحِظَّةِ الْمُنَاسِبَةِ لِإِظْهَارِ نَفْسِهِ مِنْ جَدِيدٍ.

فِي ظِلِّ الصِّرَاعِ بَيْنَ الْأَنْسَاقِ وَخِطَابَاتِهَا قَدْ نَتَفَهَّمُ عِبَارَةً اسْتِنْتَاجِيَّةً تَأْتِي فِي نَهَايَةِ الْبَحْثِ، تَصِفُ النَّسْقَ بِأَنَّهُ "إِذَا دَخَلَ شَيْئاً شَانَهُ وَحَوَّلَهُ مِنَ الصَّوَابِ إِلَى الْخَطَأِ وَمِنَ الْحِيَادِ وَالْمَوْضُوعِيَّةِ إِلَى الْإِنْحِيَازِ" (154)، لَكِنَّا لَا نَتَّفَقُ مَعَهَا تَمَامَ الْإِتِّفَاقِ، فَإِذَا انْطَبَقَتِ النَّتِيجَةُ عَلَى النَّسْقِ الثَّلَاثِ وَخِطَابِهِ، فَمُحَالٌ أَنْ تَنْطَبِقَ عَلَى النَّسْقِ الْأَوَّلِ وَخِطَابِهِ.

مِثْلَمَا يُوجَدُ خِطَابٌ نَسْقِيٌّ مُعَارِضٌ، فَكَذَلِكَ يُوجَدُ خِطَابٌ نَسْقِيٌّ مُهَادِنٌ، تَتَعَدَّدُ الْخِطَابَاتُ، وَتَتَنَوَّعُ، وَتَتَقَاطَعُ، لَكِنَّ ذَلِكَ لَا يُؤَدِّي بِالضَّرُورَةِ إِلَى الصِّرَاعِ الْأَكِيدِ فِيمَا بَيْنَهَا، فَكَثِيرٌ مِنَ الْأَنْسَاقِ تَعَايَشَتْ مَعاً؛ فِي ظِلِّ لُغَةٍ وَجُغْرَافِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، أَوْ مُتَقَارِبَةٍ، دُونَ أَنْ يَحْدُثَ بَيْنَهَا أَيُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الصِّرَاعَاتِ، وَالسَّبَبُ يَعُودُ إِلَى شُعُورِهَا بِالطَّمَأْنِينَةِ تَجَاهَ هَوِيَّتِهَا.

أَدْبِيَاءٌ وَوُجِدَتْ أَمْطٌ مِنَ الْخِطَابِ، دُعِيَتْ بِاسْمِ " الْأَجْنَاسِ الْأَدْبِيَّةِ " (155)، تَعَايَشَتْ فِي مَا بَيْنَهَا، وَتَقَاطَعَتْ، دُونَ لُجُوءِ أَحَدِهَا إِلَى الْإِغَاءِ الْآخَرِ، وَمَحْوِ هَوِيَّتِهِ؛ حَيْثُ ظَلَّ الْأَسَاسُ فِي التَّعَامُلِ إِبْقَاءُ الْهَوِيَّةِ، وَتَعَزُّيُّهَا، الْأَمْرُ الَّذِي مَكَّنَهَا مِنَ التَّعَايَشِ، بَلْ دَعَمَ الْخِطَابِ الْكُلِّيِّ، عَبَرَ خِطَابَاتِهَا الْفَرْدِيَّةِ.

بما أن الأدب نتاج اجتماعي، فالخطابات التي أنتجها إنما هي تنوعات للخطابات الاجتماعية، "فكلُّ مجتمعٍ وكلُّ ثقافةٍ لها مجموعةٌ من أنماطِ الخطاباتِ التي يُمكنُ تحديدها. وليسَ هناكُ مُبررٌ لإدانةٍ أحدها باسمِ الآخرِ... لكنَّ هذا لا يعني أنَّ كلَّ خطابٍ يظلُّ فردياً ولا يتعادَلُ معَ أيِّ خطابٍ آخرَ. فبينَ الخطابِ العامِّ والخطاباتِ الخاصَّةِ هناكُ أنواعُ الخطابِ" (156).

الخطاباتُ النَّسقيَّةُ؛ ثقافيَّةُ النَّشأةِ، احتوتِ المنتجاتِ الثقافيَّةِ، وجعلتها تتلبسُ النَّسقَ، بلِ استخدَمتها لتعزيرِ النَّسقيَّةِ الاجتماعيَّةِ، فباتَ الأفرادُ المؤمنونَ بالنَّسقِ يؤمنونَ بِخطابِهِ (157)؛ إيماناً مُطلقاً.

تنوعُ الخطاباتُ النَّسقيَّةُ، وتتخذُ هيئتين؛ هيئَةً نصيَّةً؛ تتشكَّلُ من أبنيةٍ لغويَّةِ (158)، تتمظهرُ في الأقوالِ، والنُّصوصِ، والمستنداتِ، والأحكامِ، والأمثالِ، وكلُّ ما له علاقةٌ باللُّغةِ المنطوقَةِ، أو المكتوبةِ (159).

الهيئَةُ الأخرى للخطاباتِ النَّسقيَّةِ تتكرسُ في الرُّموزِ، والعلاماتِ غيرِ اللغويَّةِ (160)، حيثُ يضيفي النَّسقُ المشروعيَّةَ عليها، من خلالِ استخدامِها، وتكرارِ الاستخدامِ لها؛ إلى أن تركزَ في أذهانِ، وفكرِ المبتدئينِ للنَّسقِ.

تعملُ الخطاباتُ النَّسقيَّةُ على الحثِّ الدائمِ، عبرَ التَّمييزِ بينَ ما هو مرغوبٌ، وبينَ ما هو غيرُ مرغوبٍ؛ بينَ المباحِ والممنوعِ، مُتَّخِذَةً وسيلةً اللُّغةِ أساساً في عمليَّةِ إيصالِ رسالَتِها، كما تستعينُ بالرُّموزِ غيرِ اللغويَّةِ بعدَ ذلكَ، إنَّما الأساسُ الثَّابتُ المستعملُ في إيصالِ الرِّسالةِ يلتفُ حولَ اللُّغةِ بأنماطِها المختلفةِ.

اللُّغةُ فكرٌ عامٌ يستوعبُ جميعَ الأنساقِ، بينما الخطابُ النَّسقيُّ توجيهٌ للُّغةِ وفقَ الأسسِ الثَّابتةِ التي يركِّزُ عليها النَّسقُ، فحينَ يُحْتُنَّا الخطابُ النَّسقيُّ على الالتزامِ بتعاليمِهِ، نُجدُّ اللُّغةَ المستعملةَ قد أصابها نوعٌ من "الانحرافِ" (161)؛ المؤدِّي إلى خدمةِ الخطابِ النَّسقيِّ.

"الانحراف" اللغوي ليس تشوهاً في بنية اللغة ذاتها، بل إنَّحَادٌ وَضَعِيَاتٌ مُلَائِمَةٌ لِلخِطَابِ النَّسْقِيِّ، فاللغة "لا يتحكم فيها مباشرةً عقل المتكلمين بها" (162)، بل الخطاب النسقي يستحوذ على اللغة، ويعمل على توجيهها (163) "حسب شرطه النسقي" (164)، ثمَّ تعمل اللغة في وضعيتها النسقية على إمداد الذهن بمعايير تفرقية بين مستويين؛ مستوى المنع، ومستوى الإباحة؛ المرغوب، وغير المرغوب.

العملية اللغوية النسقية المتمثلة في خطاب النسق، تُقدِّم الأفكار الجاهزة (165) إلى ذهن الفرد، وتلبسها لباساً من الشرعية (166)؛ مما يساهم في قبول الفرد لهذه الأفكار، وتبنيها، والإيمان بها إيماناً مُطلقاً.

تختبر الأفكار في الذهن البشري إلى أن تصبح ثوابت "حياتية" لا يجوز إنكارها، أو تجاوزها، حيث يتم تأصيل الثوابت، وجعلها أسساً يبنى عليها الفعل اللغوي (167)، أو غير اللغوي.

حركية الخطاب بادية جداً في المقولات اللغوية الصادرة عن النسق، فالأفراد يتعاملون في ما بينهم باللغة، ثم تأتي الرموز، والعلامات كمنطقتين من أنماط التعامل اللغوي؛ حيث يتم ترجمة الرموز، والعلامات غير اللغوية إلى مقابلها اللغوي.

يسهم الخطاب في بنية (168) اللغة من خلال الأسس التي سبق ورکزها في ذهن الأفراد؛ المتعاملين باللغة، فحين يبنى خطاب فرعي على الأصل النسقي، نجد استحواد الخطاب النسقي عليه، وتوجيهه؛ وفق ما يرتضيه الأصل، ويؤسس له.

نمثِّل لذلك بالخطاب الاجتماعي، فحين يتأسس يعتمد الخطاب الأصلي؛ خطاب الدين، ويعمل كترجمة لهذا الأصل، حيث يعد فرعاً، أو تنوعاً للخطاب الديني، مع تمسكه بالثوابت المقررة سلفاً؛ إذ لا يجوز خروجه عليها لأي سبب كان، وهو ما يفرز وحدة الخطاب، وتنوع أشكاله.

الأمر بهذه الصورة أوجد معضلة في الخطاب الفرعي؛ الاجتماعي ذاته؛ تمثلت في بقاء بناء الخطاب على هيئة واحدة، فرغم الانتقال من طور الجاهلية؛ المتعصبة للقبيلة، إلى تمط التعدد الأممي الإسلامي المختلف،

ووصولاً إلى المدينة الحديثة المتطورة؛ حيث نختفي الفوارق القبليّة السّابقة، بقي الخطاب الاجتماعيّ ثابتاً، دون تغييرٍ يُذكر.

امتدادُ السّنوات، وانقضاءُ أكثر من ألفِ عامٍ، رسّخ الأسسَ النّسقيّة، وجعلَ الخطابَ مُتضخّماً؛ مُستحوذاً على اللّغة؛ مانعاً مُحاولاتِ التّبديل، والتّغيير في بنيةِ الخطابِ الأصليّ، فبدلَ إنشاءِ خطابٍ مُتوافقٍ مع العصرِ الرّاهنِ لِكُلِّ مَرحلةٍ؛ حسبَ مُقتضياتها، نجدُ اجترارَ سماتِ الخطاباتِ السّابقة، والبناءَ على منوالها.

أفضلُ، بلُ أصدَقُ ما يُمثّلُ مُحاولاتِ اجترارِ سماتِ الخطاباتِ السّابقة؛ الإتيانُ بها، وإلقاؤها كما هي، كأنّ الزّمنَ لم يتغيّر بعدَ مُرورِ ألفِ سنّةٍ، أو أكثر (169)، ولعلّ الشّاهدَ البارزَ في هذا المضمارِ؛ ما يُمارسُهُ بعضُ الفضلاءِ من أئمّةِ المساجدِ، والعلماءِ في حُطبتهم (170)؛ إذ يجلبون النّصّ القديّم (171)، ثمّ يقومون بإلقائه (172)، عوضَ الاستفادةِ منه، أو الإشارةِ إليه، مُتناسينَ ظروفَ المرحلةِ الرّاهنة، وما تُحتاجُ إليه من تغييرٍ في بنيةِ الخطابِ الاجتماعيّ.

ليستَ جميعُ النّصوصِ السّابقةِ مُتساويةً، بل بينها استثناءاتٌ، لكنّ الاستثناءاتِ التي نتحدثُ عنها قليلةٌ جداً إذا قيستُ بالمجموعِ الكُلّيِّ للنّصوصِ الثّرائيةِ الواردةِ.

الحشدُ النّصويّ الهائلُ من المروياتِ المتوارثةِ؛ كرسّ سلطَةَ الخطابِ (173) القويّةِ لغويّاً، واجتماعيّاً، بما أنتجَ "تناسقاً" (174) في لغةِ الخطابِ، وارتقى بها؛ لِتُحدثَ أثرها الفاعلِ داخلَ بنيةِ الثّقافةِ السّائدةِ.

في البدءِ، يتّخذُ الخطابُ اللّغةَ السّائدةَ مُنطلقاً؛ لتكريسِ مفاهيمه، وثوابته، ثمّ ينطلقُ، بعدَ تكريسِ الثّوابتِ، إلى التّأثيرِ في بنيةِ الثّقافةِ المعاشةِ (175)؛ إذ يسمّها بِسماته، ويُلقي عليها من ظلاله، مُمارساً منطِقَهُ القويّ؛ المعتمدَ على قُوّةِ الحجّةِ، والبرهانِ (176).

تستجيبُ الثّقافةُ لِمَنطِقِ الخطابِ؛ المعتمدِ على الحجّةِ القويّةِ، فتبدأُ في صوغِ نفسها بما يُلائمُ الخطابَ، كما تعملُ على إعادةِ صياغةِ أفكارِ الأفرادِ؛ لِتقبّلِ الخطابِ، والتّرويجِ لَهُ.

يَسْتَحُوذُ مَنطِقُ الْخِطَابِ عَلَى الثَّقَافَةِ، إِلَى أَنْ يُصْبِحَ مَنطِقُ الثَّقَافَةِ، وَمَنطِقُ الْخِطَابِ شَيْئاً وَاحِداً (177)،
فَالثَّقَافَةُ أَسَاساً تَكُونُ مَنطِقَةَ عَمَلِ الْخِطَابِ (178)، وَمُمارَسَةً لِإِجْرَائِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ.

فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ مِنْ سَيِّطَرَةِ الْخِطَابِ عَلَى الثَّقَافَةِ، تَأْخُذُ الْأَنْظِمَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ، وَالتَّوَاصُلِيَّةُ غَيْرُ اللَّغَوِيَّةِ؛
الْمِصْحَابَةِ لِلغَةِ الشِّفَاهِيَّةِ، أَوْ الْمَكْتُوبَةِ فِي التَّشْكِيلِ وَفَقَ مُعْطَيَاتِ الْخِطَابِ، وَإِجْرَائِهِ؛ إِذْ يَتَعَدَّلُ "مَرْمُوزُهَا"
الْمَعْنَوِيُّ، أَوْ يَكْتَسِبُ مَعْنَى جَدِيداً؛ لِمُسايرَةِ الْمَرَحَلَةِ الرَّاهِنَةِ، وَالتَّغْيِيرَاتِ الْحَادِثَةِ فِيهَا.

الْأَنْظِمَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ، وَالتَّوَاصُلِيَّةُ غَيْرُ اللَّغَوِيَّةِ إِنَّمَا هِيَ تَفَرُّعٌ لِلنِّظَامِ اللَّغَوِيِّ؛ فَنِظَامُ "أَضْوِيَّةِ الْمُرُورِ... مُشْتَقٌّ مِنْ
اللُّغَةِ، وَمِنْ إِسْتِعْمَالِ مُحَدَّدٍ وَمُتَخَصِّصٍ لَهَا" (179).

"إِنَّ اللُّغَةَ هِيَ نِظَامٌ مِنَ الْعَلَامَاتِ الْمَعْبُورَةِ عَنْ أَفْكَارٍ، وَبِهَذَا وَمُقَارَنَةً بِالْأَنْظِمَةِ التَّوَاصُلِيَّةِ الْأُخْرَى كَنْظَامِ لُغَةِ
الصُّمِّ وَالْبُكْمِ أَوْ نِظَامِ الطُّقُوسِ وَالشَّعَائِرِ أَوْ الْإِشَارَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ تَبْقَى اللُّغَةُ الْأَهَمُّ مِنْ هَذِهِ
الْأَنْظِمَةِ" (180).

تَكْتَسِبُ الرُّمُوزُ، وَالْعَلَامَاتُ غَيْرُ اللَّغَوِيَّةِ مَعْنَاهَا مِنَ اللُّغَةِ؛ الْمَسِيْطَرِ عَلَيْهَا مِنْ لَدُنِ الثَّقَافَةِ، وَالثَّقَافَةُ بِدَوْرِهَا
تَخْضَعُ لِسُلْطَةِ الْخِطَابِ.

سِلْسِلَةٌ مِنَ الْعَلَاقَاتِ الْمُتَشَابِكَةِ (181)؛ تُؤَدِّي إِلَى نَتِيْجَةٍ وَاحِدَةٍ؛ ثَابِتَةٍ؛ هِيَ "مَرْكَزِيَّةُ" الْخِطَابِ، وَسَيِّطَرَتِهِ
سَيِّطَرَةٌ تَامَةٌ عَلَى مَفَاصِلِ الْعَمَلِيَّةِ اللَّغَوِيَّةِ، فَالْفِعْلُ اللَّغَوِيُّ (182)؛ كَطَوَافِ الْحَاجِّ فِي مَكَّةَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ،
يَتَأَسَّسُ عِبْرَ قَوَاعِدَ أُسَاسِيَّةٍ، تَمَّ وَضْعُهَا مِنْ قَبْلِ السِّيَاقِ الْإِسْلَامِيِّ، وَكَرَّسَهَا الْخِطَابُ بِإِعْتِبَارِهَا عِلْمَةً مِنْ
الْعَلَامَاتِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ.

" كُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيْباً فِي الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ يُمَكِّنُ إِعْتِبَارَهُ بِمِثَابَةِ عِلْمَةٍ أَوْ إِشَارَةٍ مَا دَامَ يُمَكِّنُ إِسْتِخْدَامَهُ لِتَوْصِيلِ
رِسَالَةٍ مَا أَوْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شَيْءٍ مَا" (183).

الهوامش

- 1- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص128 / محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص341 / رولان بارت، نقد وحقيقة، ترجمة: د. منذر عياشي، الأعمال الكاملة 3، مركز الإنماء الحضاري 1994م، ص18-19
- 2- رومان ياكوبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ص63

3- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص 277

4- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 207

5- عبد الله الغدائي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان 2009م، ط 2، ص 13

6- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، مصر 1994م، ط 2، ص 10: محمود علي مكي في إضاءة وحوار على نص كتاب د. نصر، وبهنا

هنا حديثه عن الحاكمية الإلهية بوصفها تقيضا لحاكمية البشر وأنها تشترك مع النص الديني، مما يحيل إلى التعارض مع الإسلام. قارن كلام محمود مكي

بكلام عبدالصبور شاهين ص 14، ثم شاهد سبب المشكلة في ص 68 وما بعدها، وص 85: الأمويون هم من طرحوا مفهوم "الحاكمية"، وص 101-

117: تفصيل وتوسع في الحديث حول الحاكمية الدينية

7- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص 150

8- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص 232-233: ينفي فوكو أن تكون السلطة معادلة للدولة، وإن كان لا ينفي أن تكون الدولة

معطى أساسي في مفهوم السلطة

9- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 239 / حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص 38

10- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 43

11- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان 2005م،

ط 2، ص 9

12- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص 35

13- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 118: ولا خلاف في أن تاريخية اللغة تتضمن اجتماعيتها، الأمر الذي يؤكد أن للمفاهيم بعدها الاجتماعي

الذي يؤدي إهداره إلى إهدار دلالات النصوص ذاتها

14- غازي مختار طلبات، في علم اللغة، ص 24

15- غازي مختار طلبات، في علم اللغة، ص 24

16- عبد الله الغدائي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص 72

17- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 85: عملية تزييف الوعي التي ظل النظام الأموي يمارسها بحكم افتقاده إلى الشرعية

18- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ص 17

19- روبر مارتن، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة: د. عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة / مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان 2007م، ص 144

20- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ص 17 / فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص 25

21- روبر مارتن، مدخل لفهم اللسانيات، ص 144

22- روبر مارتن، مدخل لفهم اللسانيات، ص 142

23- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 43

24- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 207

25- الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ص 63

26- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص 31

27- رومان ياكوبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ص 59: كانت المهمة الطبيعية للسانيات هي إثارة الأهمية الأساسية لمفهوم "التواصل" في العلوم

الاجتماعية. وحسب صياغة ساير "إن كل نموذج ثقافي، وكل سلوك اجتماعي، يتضمن تواملاً سواء أكان بمعنى صريح أو ضمني"

28- عبدالرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت 1992م، ص 80: إن نظام الثقافة يماثل نظام اللغة... جميع

مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية يمكن أن تعتبر كلفات، أي كأنساق من العلامات للتواصل

- 29- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص24
- 30- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص37
- 31- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص127
- 32- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص143
- 33- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص345
- 34- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص139
- 35- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص19
- 36- غازي مختار طلبات، في علم اللغة، ص25
- 37- لانسون وماييه، منهج البحث في الأدب واللغة، ترجمة: د. محمد مندور، بيروت 1983م، ط2، ص144
- 38- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص44
- 39- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص27
- 40- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص27
- 41- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص28
- 42- الخصائص للتعالي ج1 ص33
- 43- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص9
- 44- أف. آر. بالمر، علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، حقوق الطبع والنشر محفوظة للجامعة المستنصرية، بغداد 1985م، ص238
- 45- منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001م، ص88
- 46- منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص54
- 47- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص92
- 48- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص126
- 49- صلاح فضل، إنتاج الدلالة الأدبية، مؤسسة مختار، القاهرة، د.ت، ص183 / الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص48
- 50- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص131
- 51- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص26
- 52- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص27-28
- 53- الطاهر بن حسين بومزير، التواصل اللساني والشعرية، الدار العربية للعلوم - ناشرون / منشورات الاختلاف، الجزائر 1428هـ - 2007م، ص28
- 54- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص51
- 55- الطاهر بن حسين بومزير، التواصل اللساني والشعرية، ص28
- 56- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس ود. محمد الشيباني، مراجعة: د. لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان 2003م، ص207
- 57- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص129 وما بعدها / محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص301 وما بعدها
- 58- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص301
- 59- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص129
- 60- يمني العيد، في معرفة النص، بيروت 1985م، ط3، ص31
- 61- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص129

62- محمود السمران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص 301-302

63- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص 129-130

64- فايز الداية، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)، ص 268

65- غازي مختار طليبات، في علم اللغة، ص 24

66- غازي مختار طليبات، في علم اللغة، ص 24

67- غازي مختار طليبات، في علم اللغة، ص 24

68- غازي مختار طليبات، في علم اللغة، ص 24

69- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 124

70- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 124

71- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 126

72- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 134

73- مصطفى ناصف، محاورات مع النثر العربي، عالم المعرفة العدد: 218، الكويت 1997م، ص 347

74- منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص 89

75- فايز الداية، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)، ص 267

76- فايز الداية، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)، ص 268

77- عبدالرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ص 83: ستروس: الثقافة هي... كل ما نستمدّه ونكتسبه من التقاليد الخارجية، أي من التربية.

78- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 206

79- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 207

80- طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان 1412هـ - 1991م، ص 11

81- طه ندا، الأدب المقارن، ص 11

82- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص 39

83- الطلحي، دلالة السياق، ص 41

84- طه ندا، الأدب المقارن، ص 12

85- طه ندا، الأدب المقارن، ص 13

86- منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص 90

87- طه ندا، الأدب المقارن، ص 16

88- منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص 57

89- عبد الله الغدائي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص 71

90- محمد نورالدين أفاية، الغرب المتخيل (صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط)، المركز الثقافي العربي، بيروت 2000م، ص 76

91- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة 1995م، ص 184

92- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص 182

93- الطلحي، دلالة السياق، ص 155

94- باتريك شارودو - دومينيك منغو، معجم تحليل الخطاب، ص 133: صورة السياق... مثل سلسلة لا نهائية من التضمنات

- 95- فايز الداية، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)، ص 220-221 / الطلحي، دلالة السياق، ص 41
- 96- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 347
- 97- أف. آر. بالمر، علم الدلالة، ص 46
- 98- كلود جرمان وريمون لوبلون، علم الدلالة، ترجمة: د. نور الهدى لوشن، منشورات جامعة فان يونس، بنغازي - ليبيا 1997م، ص 7-8 / أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص 188
- 99- منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص 88
- 100- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص 179
- 101- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص 180
- 102- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص 180
- 103- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص 180
- 104- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص 81: الكتاب بصفته شيئاً مادياً ملموساً
- 105- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة العدد 164، الكويت 1992م، ص 225
- 106- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 120: وقد يضيف البعض وصفاً للنصوص المحظور فيها الاجتهاد بأنها النصوص القطعية في ثبوتها وفي دلالتها
- 107- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم؟)، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، د.ت، ص 54
- 108- عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية (بحث في تأويل الظاهرة الأدبية)، سلسلة كتاب الرياض، العدد 93 - أغسطس 2001م، يصدر عن مؤسسة الإمامة الصحفية، ص 112 / محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص 10، ص 23
- 109- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص 71
- 110- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص 297
- 111- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص 298
- 112- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص 180
- 113- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم؟)، ص 18: أركون: "ونقصد بالإسلام هنا ذلك التصور المضخم والأفنومي الشائع عنه في المجتمعات الإسلامية" / محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص 72: كلمة "إسلام" التي أصبحت كالجراب تتسع لكل شيء ويضعون فيها كل شيء / نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 39: ومنه اختزال الماركسية في الإلحاد والمادية، و ص 82: اختزال "العلمانية" الأوروبية في صفة واحدة هي مناهضة الدين، و ص 83: اختزال "الفرويدية" في "وحل الجنس"
- 114- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص 134
- 115- عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية (بحث في تأويل الظاهرة الأدبية)، ص 64-65
- 116- عبد الله الغدائي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص 99
- 117- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 132 وما بعدها
- 118- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص 38
- 119- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص 38
- 120- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 237 وما بعدها
- 121- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 239

- 122- عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية (بحث في تأويل الظاهرة الأدبية)، ص 65-66
- 123- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص 9-10
- 124- خليل الموسى، آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة – دمشق 2010م، آفاق ثقافية، العدد 89، ص 9
- 125- صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر 1996م، ط1، ص 117: حينما يتحدث عن الواقع المصري في قبالة الأفكار المستوردة / محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص 9-10
- 126- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص 140: وأما ما يخالف المذهب فيعتبر بدعة / نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 38: الإلحاد أو المادية أو الصهيونية، وص 40: تساوي الإلحاد
- 127- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص 88
- 128- عبدالرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ص 82: الظواهر الاجتماعية والثقافية والظواهر اللغوية... أنساق ومنظومات رمزية للتواصل
- 129- منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص 57: رأي سوسير / فولفجانج هاينه من و ديتير فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: د. فالح العجمي، سلسلة اللغويات الجرمانية الكتاب رقم (115)، النشر العلمي والمطابع – جامعة الملك سعود، الرياض – السعودية 1419هـ - 1999م، ص 8: انظر تعريف كالمير للنص
- 130- باتريك شارودو – دومينيك منغو، معجم تحليل الخطاب، ص 180 وما بعدها / الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص 93 وما بعدها
- 131- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص 252: والتعريف لفوكو
- 132- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص 252
- 133- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ص 24
- 134- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت – لبنان 2002م، ص 11
- 135- محمد صلاح زكي أبو حميدة، الخطاب الشعري عند محمود درويش (دراسة أسلوبية)، مطبعة المقداد – غزة 1421هـ - 2000م، ص 28 / محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر (دراسة تحليلية نقدية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان 1994م، ط5، ص 10
- 136- علي الفرج، تكوين البلاغة (قراءة جديدة ومنهج مقترح)، دار المصطفى لإحياء التراث، قم – إيران 1379 هـ.ق، ص 35: الأسلوبية اللسانية: "وهي تعنى بالدراسة العلمية لتضاياب التعبير الكلامي على أساس أنه عملية تواصلية مكونة من مرسل ومستقبل وخطاب وقناة الخطاب (الأسلوب)"
- 137- محمد صلاح زكي أبو حميدة، الخطاب الشعري عند محمود درويش (دراسة أسلوبية)، ص 31
- 138- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ص 159
- 139- منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص 90
- 140- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص 56
- 141- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص 160-161
- 142- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص 59: لأن الخطاب يربط بين أجزائه
- 143- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص 116: كيف تحدث مختلف الصراعات بين الطبقات والأمم والجماعات اللسانية والعرقية من أجل امتلاك الخطاب؟
- 144- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص 257

- 145- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 146 وما بعدها: الحديث حول اليسار الإسلامي وتشكله
- 146- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 25 وما بعدها: المطالبة بإهدار دم د. نصر حامد أبو زيد؛ كمثل، وص 74: الفتوى بإهدار دم سلمان رشدي، كمثل مقارب
- 147- عبد الله الغدائي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص 8
- 148- عبد الله الغدائي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص 72
- 149- عبدالرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ص 132: فوكو: نغني بالنسق مجموعة من العلاقات، تستمر وتتحول في استقلال عن الأشياء التي تربط فيما بينها
- 150- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 90
- 151- عبد الله الغدائي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص 68
- 152- عبد الله الغدائي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص 99
- 153- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص 138: النسق الديني: وهو مشكل من مجمل المبادئ اللاهوتية، والعقائد الإيمانية، والطقوس والشعائر التي تتحكم بالفكر، وبالتالي بالخطاب، وتوجهه في وجهات معينة
- 154- عبد الله الغدائي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص 228
- 155- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 53
- 156- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 48
- 157- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص 24
- 158- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 13
- 159- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص 129: رأي دي سوسير
- 160- الطاهر بن حسين بومزير، التواصل اللساني والشعرية، ص 30
- 161- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 129: ثم استأثرت إحدى الفرق باسم "أهل السنة والجماعة" واحتكرته لنفسها بتأييد من سلطة الدولة بعد القضاء على الاعتزال، وأصبحت هي الحكم والفيصل في قبول المرويات أو رفضها، بل واكتسبت بحكم تأييدها للسلطة السياسية والتمتع بحمايتها سلطة مرجعية في كل ما يتعلق بشؤون الدين والعقيدة
- 162- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص 250
- 163- باتريك شارودو - دومينيك منغو، معجم تحليل الخطاب، ص 181
- 164- عبد الله الغدائي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص 118
- 165- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 34
- 166- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 36: العقل الغيبي
- 167- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص 44: يعبر عنها أركون بالتاريخ
- 168- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص 73: علاقة ثابتة بين مجموعة من العناصر
- 169- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم؟)، ص 12: يجد امتداد الثقافة العربية يعود إلى أكثر من ألفي سنة
- 170- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم؟)، ص 46
- 171- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 118: ولا يعني الإلحاح على تاريخية النصوص أدنى إشارة إلى عدم قدرتها على إنتاج دلالتها أو عجزها عن مخاطبة عصور تالية أو مجتمعات أخرى، فالقراءة التي تتم في زمن تالي في مجتمع آخر تقوم على آيتين متكاملتين: الإخفاء والكشف، تخفي ما

- ليس جوهريا بالنسبة لها - وهو ما يشير عادة إلى الزمان والمكان إشارة لا تقبل التأويل - وتكشف عما هو جوهري بالتأويل، وليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص، بل لكل قراءة - بالمعنى التاريخي الاجتماعي - جوهرها الذي تكشفه في النص
- 172- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص 137: كل ثقافة في نظر فوكو إلا ولها نصوص أساسية تقوم بقراءتها وتأويلها وإعادة قراءتها، سواء تعلق الأمر بنصوص قانونية أو دينية أو أدبية، نصوص أولية يتم التعليق عليها دائما
- 173- باتريك شارودو - دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص 181: الحديث عن الخطاب الشيوعي / الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص 132، و ص 136
- 174- فولفجانج هاينه من و ديتر فيفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص 113
- 175- باتريك شارودو - دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص 131-132
- 176- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 42، و ص 127
- 177- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 84: للمقارنة: يتجاوز الخطاب الديني موقف تحويل أقوال السلف واجتهاداتهم إلى "نصوص" لا تقبل النقاش، إلى التوحيد بين تلك الاجتهادات وبين الدين في ذاته
- 178- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص 203-204
- 179- أف. آر. بالمر، علم الدلالة، ص 6
- 180- منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص 57: رأي سوسير
- 181- منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص 88
- 182- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 122-123
- 183- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص 188

نَهَايَةُ الْمَطَافِ

الكتاب يأخذنا في رحلة زمنيّة، استغرقت ما يزيد على ألف عام، بدأت بالتعريف في القواميس والمعجم؛ حيثُ الدكريات الأولى للكلمات، انطلقت الرحلة من بطن الحزاة المعجميّة؛ هادفةً إلى جمع أكبر كمّيّة ممكنة من الدلالات، لتأسيس الطريقيّ الذي سوف تعبّر من خلاله.

اعتمد جمع الدلالات على الغوص في المعاجم والقواميس، وتمّ الرجوع إلى الكثير منها، فنتج عن ذلك عدد ضخم من الدلالات، بادرنّا إلى المقارنة والموازنة بينها، ثمّ ترتيبها، وإبقاء المشترك منها، كما تمّ الإبقاء على الدلالات التي ميّزت كلمتيّ "السياق" و "النسق".

أختصت كلمة "السياق" في القواميس بوجود إرث ضخم من الدلالات، قد تبدو للوهلة الأولى ترفاً قاموسياً، إنّما النظرة الفاحصة تؤكد أنّ الدلالات المتنوّعة، ليست إلاّ تعبيراً أصاب الكلمة في تاريخها الطويل، فكلمة "السياق" وتفرعاتها ظلت حاضرة في الاستعمال اليوميّ، مثلما ظلت حاضرة في الاستعمال الثقافيّ، والمصطلحيّ.

كثرة الدلالات احتاجت تنظيمًا وترتيبًا، فحينما نشاهد معجم "السياق" يتبادر إلى أذهاننا؛ شموليّتها؛ إذ إنّها ارتبطت بالفرد والمجتمع، الراعي والرعيّة، ما قبل الولادة وما بعد الموت، إزاء هذه الشموليّة كان لا بدّ من البحث عن سبيل، يُخرج من التشتت والتشظّي إلى الترتيب والتنسيق.

بسبب الحاجة إلى التنسيق في معجم "السياق" برزت الكلمة الأخرى؛ كلمة "النسق" بدلالاتها التّسقيّة والترتيبيّة، فكان من الواجب البحث فيها، واستقصاء دلالاتها، مثلما حدث مع كلمة "السياق"، وهو ما تمّ في الفصل المواليّ لفصل "السياق".

الملاحظ على كلمة "النسق" قلة القواميس التي بحثت في هذه المفردة، إضافةً إلى قلة الدلالات التي أعطيت لها، فكأنّها تعيش على هامش المعجم لا في صلبه، وكأنّ كلمة "السياق" استحوذت على جميع الدلالات، وتركت لكلمة "النسق" مجرد تنظيم الفوضى المعجميّة، المتعلّقة بدلالات كلمة ك "السياق".

أُثْمِرَتِ الْمُقَارَبَةُ الْقَامُوسِيَّةُ بَيْنَ كَلِمَتَيْ "السِّيَاقِ" وَ "النَّسَقِ" فِي تَنْظِيمِ الدَّلَالَاتِ الْوَارِدَةِ؛ حَيْثُ أَصْبَحَ لِكُلِّ دَلَالَةٍ إِزْتِبَاطٌ مُعَيَّنٌ بِنَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْحَيَاةِ، عَوَضَ الْفَوْضَى السَّائِدَةَ سَابِقًا، عَلَى مُسْتَوَى الدَّلَالَةِ الْقَامُوسِيَّةِ. انْطِلَاقًا مِنَ الْمَعْجَمِ جَاءَتْ مُقَارَبَتُنَا لِلُّغَةِ، فَتَمَّ إِتِّخَاذُ "السِّيَاقِ" هَادِيًا وَمُرْشِدًا، وَإِتِّخَاذُ "النَّسَقِ" مُنْظَمًا وَمُرْتَبًّا، وَجَاءَ الْحَدِيثُ حَوْلَ اللُّغَةِ مُسْتَعِينًا بِالْأَلْسِنِيَّةِ وَدُرُوسِهَا، فَنُقْطَةُ الْانْطِلَاقِ دَارَتْ حَاوِلَ رَمَزِيَّةِ اللُّغَةِ، وَاعْتِبَارِهَا كِيَانًا قَائِمًا، اِحْتَوَى الثَّرَاثَ ، وَعَمِلَ عَلَى تَنْظِيمِهِ وَتَرْتِيبِهِ؛ مِمَّا أَفْرَزَ أَنْسَاقًا فِي دَاخِلِهِ.

لَيْسَتْ اللُّغَةُ رَمَزِيًّا إِلَّا اِمْتِدَادٌ لِمُصْطَلَحِ "السِّيَاقِ"، فَالْمِشَابَهَةُ بَيْنَهُمَا؛ مُشَابَهَةٌ فِي التَّكْوِينِ وَالْإِفْرَازَاتِ، فَالسِّيَاقُ اِحْتَوَى أَنْسَاقًا فِي دَاخِلِهِ، وَكَذَلِكَ اللُّغَةُ اِحْتَوَتْ أَنْسَاقًا فِي دَاخِلِهَا، رُغْمَ أَنَّ هَذِهِ الْأَنْسَاقَ لَا يُمَكِّنُ رُؤْيُتِهَا، إِلَّا أَنَّمَا تَبْقَى وَاقِعًا وَحَقِيقَةً مَائِلَةً لِلدَّارِسِ الْأَلْسِنِيِّ.

تَعَدُّدُ الْأَنْسَاقِ اللُّغَوِيَّةِ، دَفَعَ الْبَحْثَ إِلَى مُقَارَبَةِ اللُّغَةِ بِشَكْلِهَا الْمِتَشَطِّبِيِّ، بُغْيَةَ إِقَاءِ الضَّوِّءِ عَلَى أَبْرَزِ الْأَنْسَاقِ الْفَاعِلَةِ؛ حَيْثُ بَرَزَ النَّسَقُ الدِّينِيُّ كَأَهَمِّ نَسَقٍ تَوَقَّفَتْ اللُّغَةُ عَلَيْهِ، مِنْ حَيْثُ مُمَارَسَتِهِ دَوْرًا فَاعِلًا فِي بَقِيَّةِ الْأَنْسَاقِ.

النَّسَقُ الدِّينِيُّ أَخَذَ الْبَحْثَ نَحْوَ دَائِرَةِ اللُّغَةِ، فَتَمَّ التَّوَجُّهُ إِلَى الطَّبِيعَةِ الثَّقَافِيَّةِ الْفَاعِلَةِ لِلُّغَةِ؛ حَيْثُ الْاِتِّعَالَ مِنْ الْوَحْدَةِ الْكُلِّيَّةِ لِلْكِيَانِ، إِلَى تَصْوِيرِهِ ثِقَافَةً وَفِكْرًا وَمُمَارَسَةً، بَلْ كِيَانًا اسْتِحْوَاذِيًّا؛ يُمَلِّئِي عَلَى الْفَرْدِ تَعَالِيمَهُ وَيُنْظِمُ لِلْمُجْتَمَعِ رُؤْيَتَهُ.

الْكِيَانُ الثَّقَافِيُّ يُعَدُّ الشَّكْلَ الْأَرْقَى لِلُّغَةِ، فَجَمِيعُ الْأَنْسَاقِ مُتَوَاجِدَةٌ، بِمَا فِي ذَلِكَ الْأَنْسَاقِ الْمِضَادَّةُ لِمَا هُوَ سَائِدٌ، أَوْ تِلْكَ الْأَنْسَاقِ النَّاشِئَةُ عَنِ الْأَنْسَاقِ مَوْجُودَةٍ، فَفِي دَاخِلِ الْكِيَانِ الثَّقَافِيِّ تَتَفَاعَلُ الْأَنْسَاقُ وَتَتَحَاوَرُ، وَتَعْمَلُ عَلَى إِنتَاجِ خِطَابَاتِهَا الْمِسْتَقْلَلَةِ، سَوَاءً تَوَافَقَتْ الْخِطَابَاتُ مَعَ الْخِطَابِ السَّائِدِ أَوْ تَعَارَضَتْ.

يَسُوْدُ اللُّغَةَ خِطَابًا سُلْطَوِيًّا مُلْزَمًا لِلْفَرْدِ وَلِلْآخِرِ، تُمَارَسُ فِيهِ رِقَابَةٌ عَلَى كُلِّ السُّلُوكِيَّاتِ الصَّادِرَةِ، كَمَا يَعْمَلُ عَلَى الْحَثِّ الدَّائِمِ؛ إِمَّا تَمْسُكًا أَوْ رَفْضًا، إِذْ يُمَارَسُ سُلْطَتُهُ فِي الْحَثِّ عَلَى الْمَرْغُوبِ، أَوْ رَفْضِ غَيْرِ الْمَرْغُوبِ.

لَا بُدَّ لِلُّغَةِ مِنْ خِطَابٍ، فَالْخِطَابُ نَاتِجٌ مِنْ نَوَاتِجِ الْأَنْسَاقِ الْمِتَحَاوِرَةِ، فَيَسْتَمِدُّ شَرْعِيَّتَهُ مِنْ شَرْعِيَّةِ النَّسَقِ فِي دَاخِلِهِ، وَكُلَّمَا زَادَ إِزْتِبَاطُهُ بِالْأَصْلِ الدِّينِيِّ، زَادَتْ شَرْعِيَّتُهُ عِنْدَ الْمُتَمَيِّنِ النَّسَقِيِّينَ.

بِهَذَا نَكُونُ قَدْ وَصَلْنَا إِلَى نَهَايَةِ رِحْلَتِنَا فِي الْكِتَابِ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ تَكُونَ رِحْلَةً مُتَمَعَّةً، اسْتِفَادَ الْقَارِئُ مِنْهَا مِثْلَمَا اسْتِفَادَ الْكَاتِبُ، فَكُلُّ نَصِّ خَرَجَ مِنْ صَاحِبِهِ، أَصْبَحَ مُلْكًا لِلْقَارِئِ، وَمُلْكًا لِلدَّهْنِيَّةِ وَاللُّغَةِ الَّتِي أَنْتَجَتْهُ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قائمة المراجع مرتبة حسب ورودها في الكتاب

- 1- ردة الله بن ردة بن ضيف الطلحي، دلالة السياق، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في علم اللغة، بإشراف الدكتور/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، فرع اللغة، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، 1418هـ.

- 2- باتريك شارودو - دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري - حمادي صمود،
مراجعة: صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس 2008م.
- 3- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د.ت.
- 4- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
- 5- سعد بن مقبل بن عيسى العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين (دراسة نظرية تطبيقية)، بحث مقدم لنيل درجة
الماجستير في قسم الدراسات العليا الشرعية تخصص أصول الفقه، بإشراف الأستاذ الدكتور/ حمزة بن حسين
الفرع، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، شعبة الأصول،
وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، 1427-1428هـ.
- 6- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة 1998م، ط5
- 7- مجمع الأمثال للميداني،
- 8- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد - الأردن 1427هـ -
2007م.
- 9- غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق - سوريا 2000م، ط2.
- 10- فايز الداية، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)، دار الفكر، دمشق 1417هـ - 1996م، ط2.
- 11- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت - لبنان، ط19.
- 12- السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية للطباعة والنشر
والتوزيع، تحقيق: مصطفى حجازي، 1409هـ 1989م.
- 13- أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين،
بيروت - لبنان 1987م.
- 14- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار
العلم للملايين، بيروت - لبنان 1990م، ط4.

- 15- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المعروف بابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج6، تحقيق: د. عبد الحميد هندأوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان 1421هـ - 2000م، ط1.
- 16- صالح الصالح وأمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة، د.ت، د.ن.
- 17- أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د.ت.
- 18- أبي عبد الرحمن الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، قم - إيران 1401هـ، ط2.
- 19- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت - لبنان 1411هـ - 1991م، ط1.
- 20- جماعة من المختصين بإشراف أ.د. أحمد أبو حاققة، معجم النفائس الكبير، دار النفائس، بيروت - لبنان 1428هـ - 2007م، ط1.
- 21- إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استنبول - تركيا، مجمع اللغة العربية، د.ت.
- 22- جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت - لبنان 1412هـ - 1992م.
- 23- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان 1378هـ - 1959م.
- 24- السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، تحقيق: مصطفى حجازي ود. محمد مهدي علام، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مجمع اللغة العربية (مصر)، القاهرة 1408هـ - 1988م، ط1.
- 25- المحيط نت (معجم إلكتروني على صفحات الويب، بتأليف: أديب اللجمي وشهادة الخوري والبشير بن سلامة وعبد اللطيف عبيد ونبيلة الرزاز، وراجع ونسقه: أديب اللجمي ونبيلة الرزاز، موقع عجيب، قسم المعاجم).

- 26- بطرس البستاني، محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)، مكتبة لبنان، بيروت 1987م.
- 27- جبران مسعود، الرائد (معجم لغوي عصري)، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان 1992م، ط7.
- 28- محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، مكتبة لبنان، بيروت 1989م.
- 29- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، نقله للعربية: د. محمد سليم النعيمي، سلسلة المعاجم والفهارس (32)، دار الرشيد للنشر، العراق 1980م.
- 30- أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق ثقافية، بغداد 1989م.
- 31- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة 1429هـ - 2008م، ط1.
- 32- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان 1984م، ط2.
- 33- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصرية، بغداد 1408هـ - 1988م، ط1.
- 34- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة 1989م.
- 35- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 2000م.
- 36- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة 1419هـ - 1998م، ط8.
- 37- رومان ياكوبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة: علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان 2002م.
- 38- جان بريفو وجان فرانسوا سابليرول، المولد (دراسة في بناء الألفاظ)، ترجمة: خالد جهيمة، مراجعة: د. حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2010م، ط1.
- 39- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز، مراجعة: د. مالك يوسف المطلبي، آفاق عربية، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية (3)، بغداد 1985م.
- 40- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مطبعة العمدة في الطبع، الدار البيضاء - المغرب 1426هـ - 2006م، ط1.

- 41- معجم الغني (معجم إلكتروني على صفحات الويب، بتأليف: د. عبد الغني أبو العزم، موقع عجيب، قسم المعاجم).
- 42- رولان بارت، نقد وحقيقة، ترجمة: د. منذر عياشي، الأعمال الكاملة 3، مركز الإنماء الحضاري 1994م.
- 43- عبد الله الغدامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان 2009م، ط2.
- 44- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، مصر 1994م، ط2.
- 45- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان 2005م، ط2.
- 46- روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة: د. عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة / مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان 2007م.
- 47- عبدالرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت 1992م.
- 48- لانسون وماييه، منهج البحث في الأدب واللغة، ترجمة: د. محمد مندور، بيروت 1983م، ط2.
- 49- الخصائص للثعالبي
- 50- أف. آر. بالمر، علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، حقوق الطبع والنشر محفوظة للجامعة المستنصرية، بغداد 1985م.
- 51- منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001م.
- 52- صلاح فضل، إنتاج الدلالة الأدبية، مؤسسة مختار، القاهرة، د.ت.
- 53- الطاهر بن حسين بومزير، التواصل اللساني والشعرية، الدار العربية للعلوم - ناشرون / منشورات الاختلاف، الجزائر 1428هـ - 2007م.

- 54- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس ود. محمد الشيباني، مراجعة: د. لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان 2003م.
- 55- يمى العيد، في معرفة النص، بيروت 1985م، ط3.
- 56- مصطفى ناصف، محاورات مع النثر العربي، عالم المعرفة العدد: 218، الكويت 1997م.
- 57- طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان 1412هـ - 1991م.
- 58- محمد نورالدين أفاية، الغرب المتخيل (صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط)، المركز الثقافي العربي، بيروت 2000م.
- 59- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة 1995م.
- 60- كلود جرمان وريمون لوبلون، علم الدلالة، ترجمة: د. نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي - ليبيا 1997م.
- 61- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة العدد 164، الكويت 1992م.
- 62- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم؟)، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، د.ت.
- 63- عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية (بحث في تأويل الظاهرة الأدبية)، سلسلة كتاب الرياض، العدد 93 - أغسطس 2001م، يصدر عن مؤسسة الإمامة الصحفية.
- 64- خليل الموسى، آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة - دمشق 2010م، آفاق ثقافية، العدد 89.
- 65- صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر 1996م، ط1.
- 66- فولفجانج هاينه من و ديتير فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: د. فالح العجمي، سلسلة اللغويات الجرمانية الكتاب رقم (115)، النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود، الرياض - السعودية 1419هـ - 1999م.

- 67- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت - لبنان 2002م.
- 68- محمد صلاح زكي أبو حميدة، الخطاب الشعري عند محمود درويش (دراسة أسلوبية)، مطبعة المقداد - غزة 1421هـ - 2000م.
- 69- محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر (دراسة تحليلية نقدية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان 1994م، ط5.
- 70- علي الفرج، تكوين البلاغة (قراءة جديدة ومنهج مقترح)، دار المصطفى لإحياء التراث، قم - إيران 1379 هـ.ق.

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
2	فاتحة الكتاب.....
5	الباب الأول: السياق والنسق.....
8	السياق.....
18	النسق.....

23هوامش الباب الأول
31الباب الثاني: اللغة أنساق داخل السياق
34اللغة / كيان
42اللغة / كيان ثقافي
50اللغة / خطاب
61هوامش الباب الثاني
68نهاية المطاف
70قائمة المراجع